سُورَةُ الفَاتِحَةِ

وهي مكية وآياتها[1] سبع

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾
ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾
إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا
ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ
عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ
وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

شـرح الكلمـات :

التفسـير[2] : لغة الشرح والبيان. واصطلاحاً : شرح كلام الله ليُفهم مُرادُهُ تعالى منه فيطاع في أمره ونهيه، ويؤخذ بهدايته وارشاده. ويُعتبر بقصصه، ويتعظ بمواعظه.

السـورة : السورة[3] قطعة من كتاب الله تشتمل على ثلاث آيات فأكثر. وسور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة أطولها «البقرة»[4] وأقصرها «الكوثر».

الفاتحـة : فاتحة كل شيء بدايته. وفاتحة القرآن الكريم الحمد لله رب العالمين

---

(١) الآية: في اللغة العلامة. ومنه قول الشاعر:
توهمت ايات لها فعرفتها   لستة أعوام وإذا العام سابع.

(٢) مصدر فسر تفسيراً وفعله المجرّد فسر كنصرَ فَسْراً إذا أبان الكلام وكشف معناه.

(٣) لفظ السورة مشتق إمّا من سور البلد لارتفاعها وعلو شأنها أو من سور الشراب وهي البقية إذ هي بقية من كتاب الله تعالى أي قطعة منه. وكونها مشتقة من الرفعة وعلو الشأن أولى. ويشهد لذلك قول الشاعر:
ألم تر أنّ الله أعطاك سورة   ترى كل ملك دونها يتذبذب

(٤) أطول آية في القرآن، آية الدَّين في آخر البقرة، وأقصر آية فيه مدهامّتان، من سورة الرحمن.

ولذا سميت الفاتحة. ولها أسماء[1] كثيرة منها أم القرآن. والسبع[2] المثاني. وأم الكتاب،[3] والصلاة*.

مكية : المكيّ من السور: ما نزل بمكة، والمدنيّ منه ما نزل بالمدينة. والسور المكية غالبها يدور على بيان العقيدة وتقريرها والاحتجاج بها وضرب المثل لبيانها وتثبيتها. وأعظم أركان العقيدة: توحيد الله تعالى في عبادته، وإثبات نبوة رسول الله ﷺ، وتقرير مبدأ المعاد والدار الآخرة. والسور المدنية يكثر فيها التشريع وبيان الأحكام من حلال وحرام.

: الآيات: جمع آية وهي لغةً: العلامة. وفي القرآن: جملةٌ من كلام الله تعالى تحمل الهدى للناس بدلالتها على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه. وعلى نبوة محمد ﷺ ورسالته. وآيات القرآن الكريم ستّ آلاف ومائتا آية وزيادة.[4] وآيات الفاتحة سبع[5] بدون البسملة

الاستعاذة[6]

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

شرح الكلمات

الاستعاذة : قول العبد: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

أعوذ : أستجير وأتحصن

بالله : بربّ كل شيء والقادر على كل شيء والعليم بكل شيء وإله الأولين والآخرين.

---

(١) بلغ بها صاحب الاتقان، نيّفاً وعشرين اسماً. ولم يرد في السنة من ذلك سوى أربع: فاتحة الكتاب، وأم القرآن، والسبع المثاني، وأم الكتاب.

(٢) سميت بالسبع المثاني لأنها تثني أي تكرّر في كل ركعة من الصلاة.

(٣) سميت بأم الكتاب لاشتمالها على أصول ما جاء في القرآن من العقائد والعبادات والشرائع والقصص.

(٤) الزيادة تتراوح ما بين أربع آيات إلى أربعين آية على خلاف بين القراء.

(٥) وقيل البسملة هي الآية السابعة، وإليه ذهب الشافعي فأوجب قراءتها في الصلاة وعلى القول الراجح بأن البسملة ليست آية، فالآية السابقة هي: (غير المغضوب عليهم ولا الضالّين) ويكون (صراط الذين أنعمت عليهم) الآية السادسة.

(٦) العياذ بالله تعالى يكون للاستجارة بالله من المكروه، واللياذ بالله تعالى يكون لطلب المحبوب يشهد لهذا قول الشاعر:

يامن ألوذ به فيما أؤمله ... ومن أعوذ به ممن أحاذره

لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ... ولا يهيضون عظماً أنت جابره

* لقول النبي ﷺ عن ربه: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي قسمين ولعبدي ما سأل فإذا قال الحمد لله رب العالمين قال الله حمدني عبدي... الحديث رواه النسائي وغيره

الشيطان : إبليس لعنه الله

الرجيم : المرجوم المبعد المطرود من كل رحمة وخير.

معنى الاستعاذة :

أستجير وأتحصن بالله ربى من الشيطان الرجيم أن يلبّس علّي قراءتى . أوْ يضلّنى فأهلك وأشقى .

حكم الاستعاذة :

يسن[1] لكل من يريد قراءة شيء من القرآن سورة فأكثر أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ. كما يستحب لمن غضب، أو خطر بباله خاطر سوء أن يستعيذ كذلك.

البَسْمَلة

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الكلمات :

البسملة : قول العبد : بسم الله الرحمن الرحيم

الاسم : لفظ جُعل علامة على مُسَمًّى يعرف به ويتميّز عن غيره .

الله[2] : إسم علم على ذات الربّ تبارك وتعالى يُعرف به .

الرحمن* : اسم من أسماء الله تعالى مشتق من الرحمة دال على كثرتها فيه تعالى .

الرحيم : إسم وصفة لله تعالى مشتق من الرحمة ومعناه ذو الرحمة بعباده المفيضها عليهم في الدنيا والآخرة.

معنى البسملة :

ابتدىء[3] قراءتى متبركا باسم الله الرحمن الرحيم مستعينا به عز وجل .

---

(١) لقول الله تعالى : ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ من سورة النحل.

(٢) اسم لم يُسمّ به غير الله تعالى ، وهل هو جامد أو مشتق من ألهَ يأله إلهة ، وألوهة إذا عبد، فالإله بمعنى المألوه أي المعبود، فلفظ إله اسم جنس يطلق على كل معبود بباطل كسائر الآلهة أو بحق كالله جلّ جلاله.

(٣) يقدر متعلق الجار والمجرور بحسب المقام فالقارىء يقول: أبتدئ قراءتي والكاتب يقول أبتدىء كتابتي، والآكل يقول: أبتدىء أكلي وهكذا.

* روى أن عيسى عليه السلام قال: الرحمن رحمان الدنيا والآخرة والرحيم رحيم الآخرة وأعم منه قول النبي ﷺ: رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما .

حكم البسملة :

مشروع للعبد مطلوبٌ منه أن يُبَسْمِلِ عند قراءة كل سورة من كتاب الله تعالى الا عند قراءة سورة التوبة فإنه لا يبسمل وان كان فى الصلاة المفروضة يبسمل سراً إن كانت الصلاة جهرية .

ويسن للعبد أن يقول باسم الله (١). عند الأكل والشرب، ولبس الثوب. وعند دخول المسجد والخروج منه، وعند الركوب. وعند كل أمر (٢) ذى بال .

كما يجب عليه أن يقول بسم الله والله أكبر عند الذبح والنحر.

(١) الحَمْدُ (٣) لله رب العَالـمِيـنَ

شـرح الكلمـات :

الحمـــــد : الـوصف بالجميل، والثنـاء به على المحمـود ذى الفضائل والفواضل، كالمدح (٤) والشكر (٥)

للــــــه : اللام حرف جر ومعناها الاستحقاق أى أن الله مستحق لجميع المحامد والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى .

الـــــــرب : السيد المالك المصلح المعبود (٦) بحق جل جلاله .

العاليـــــن : جمع عالم وهو كل ما سوى الله تعالى، كعالم الملائكة وعالم الجن وعالم الانس وعالم الحيوان ، وعالم النبات .

---

(١) لحديث : سمّ الله وكل بيمينك، وهو في الصحيح .

(٢) لحديث : كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله فهو أبتروالحديث وإن كان ضعيفاً فإن العمل بهلما في معناه من أحاديث صحاح .

(٣) الحمدلله أعظم سورة في القرآن لحديث البخاري عن أبي سعيد بن المعلى أن النبي ﷺ قال له : لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، وقوله له ما أنزل فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى القرآن مثلها .

(٤) هناك فرق بين المدح والحمد، فالحمد يكون على الجميل الاختياري كما يحمد الله تعالى على لطفه ورحمته وإحسانه وأما المدح فإنه يكون على الاختياري والاضطراري كما يمدح الإنسان على حمال وجهه وهو ليس فعله وعلى إحسانه الذي هو عمله الاختياري والثناء المدح وتكراره مرة بعد مرة .

(٥) الشكر : الثناء باللّسان على المنعم بما أولى من النعم، فهو أخص من الحمد موردا إذ مورده النعمة فقط وأعمّ متعلقاً إذ متعلقه القلب واللّسان والجوارح لقول القائل :

أفادتك النعماء مني ثلاثة   يدي ولساني والضمير المحجبا

والحمد يعم المدح والشكر لحديث : الحمد رأس الشكر.

(٦) مما شهد لاطلاق لفظ الرّب على المعبود قول الشاعر :

أربٌ يبول الثعلبان برأسه   لقد هان من بالت عليه الثعالب

معنى الآية :

يخبر تعالى أن جميع أنواع المحامد من صفات الجلال والكمال هى له وحده دون من سواه ؛ إذ هو رب كل شىء وخالقه ومالكه.

وأن علينا[1] أن نحمده ونثنى عليه بذلك.

(٢) الرحمـن الرحـيم

تقدم شرح هاتين الكلمتين فى البسملة. وأنهما اسمان وصف بهما اسم الجلالة «الله» فى قوله: الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ثناءً على الله تعالى لاستحقاقه الحمد كلّه.

(٣) مَـالِـكِ[2] يَـوْمِ الـدِّينِ

شـرح الكلمـات :

مَـالِـك : المالك: صاحب الملك المتصرف كيف يشـاء

مَـلِـكِ : الملك ذو السلطان الآمـر الناهى المعطى المانع بـلا ممانع ولا منازع

يومَ الدين : يوم الجزاء[3] وهو يوم القيامة حيث يجزى الله كل نفس ما كسبت

معنى الآية :

تمجيد لله تعالى بأنه المالك لكل ما فى يوم القيامة حيث لا تملك نفس لنفس شيئا والملكُ الذى لا مَلِكَ يوم القيامة سواه.

---

(١) لأن اللفظ خبر ومعناه الانشاء أي قولوا: الحمد لله.

(٢) قرأ حفص مالك باسم الفاعل، وقرأ نافع ملك بدون ألف وهما قراءتان سبعيتان والله حقا هو الملك المالك.

(٣) صح تفسير يوم الدين بيوم الحساب عن السلف من أصحاب رسول الله ﷺ. ولما كان الحساب غايته الجزاء صح اطلاق لفظ الجزاء على يوم الدين، إذ يقال دانه يدينه بكذا دَينا ودينا إذا حاسبه وجزاه. وفي الحديث الكيّس من دان نفسه أي: حاسبها، وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني. رواه أحمد والترمذي وغيرهما وهو صحيح.

هداية الآيات :

في هذه الآيات الثلاث من الهداية ما يلي :

١ـ أن الله تعالى يحب[١] الحمد فلذا حمد تعالى نفسه وأمر عباده به .

٢ـ أن المدح يكون لمقتضٍ . وإلا فهو باطل وزور فالله تعالى لما حمد نفسه ذكر مقتضى الحمد وهو كونه ربّ العالمين والرحمن الرحيم ومالك يوم الدين .

(٤) إياك[٢] نعبد وإياك نستعين

شرح الكلمات :

إيـــاك : ضمير نصب يخاطب به الواحد

نعبـــد[٣] : نطيع مع غاية الذل لك والتعظيم والحب

نســتعين : نطلب عونك لنا على طاعتك[٤]

معنى الآيـة :

علّمنا الله تعالى كيف نتوسل إليه في قبول دعائنا فقال احمدوا الله واثنوا عليه ومجدوه، والتزموا له بأن تعبدوه وحده ولا تشركوا به وتستعينوه ولا تستعينوا بغيره .

هداية الآيـة :

من هداية هذه الآيـة ما يلي :

١ـ آداب الدعاء[٥] حيث يقدم السائل بين يدى دعائه حمد الله والثناء عليه وتمجيده . وزادت

---

(١) قال رسول الله ﷺ ما من أحد أحب إليه الحمد من الله تعالى حتى إنه حمد نفسه، ولفظ البخاري . لا أحد أغير من الله ولذلك حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا شيء أحب إليه المدح من الله ولذلك مدح نفسه وقال ﷺ : ما أنعم الله على عبده بنعمة فقال : الحمد لله إلا كان الذي أعطى أفضل مما أخذ . رواه البيهقي عن أنس بسند حسن .

(٢) العدول عن نعبدك ونستعينك إلى إيّاك نعبد وإيّاك نستعين لإفادة الاختصاص والحصر، وفي إياك نعبد وإيّاك نستعين نكتة بلاغية وهي : الالتفات من الغيبة إلى الخطاب وهي من المحسنات البديعية .

(٣) نعبد مضارع عبده إذا أطاعه متذلّلا له خوفا منه وطمعا فيما عنده فأحبه لذلك غاية الحب وعظمه غاية التعظيم وهكذا تكون عبادة المؤمن لربّه تعالى .

(٤) وعلى كل ما يهم العبد من أمور دينه ودنياه .

(٥) روى أبو داود والترمذي . والنسائي أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو في صلاته فلم يصل على النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : عجل هذا . ثم دعاه فقال له أولغيره . إذا صلّى أحدكم فليبدأ بحمد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي ﷺ ثم ليدع بعد مما شاء .

السنة الصلاة على النبيّ ﴿ﷺ﴾، ثم يسأل حاجته فإنه يستجاب[1] له.

٢ـ أن لا يعبد غير ربه. وأن لا يستعينه إلّا هو سبحانه وتعالى.

(٥) اهْـدِنا الـصِّـرَاطَ[2] الْمـسْتَقِيمَ

شـرح الكلمـات:

إهــــدنا : أرشدنا وأدم هدايتـنا

الصــــراط : الطريق الموصل إلى رضاك وجنّتـك وهو الإسلام لك

المســـتقيم : الذى لا ميل فيه عن الحق ولا زيغ عن الهدى

معنـى الآية:

بتعليم من الله تعالى يقول العبد فى جملة إخوانه المؤمنين سائلا ربّه بعد أن توسل إليه بحمده والثناء عليه وتمجيده، ومعاهدته أن لا يَعْبدَ هو واخوانه المؤمنون إلا هو، وان لا يستعينوا إلا به. يسألونه أن يُديم هدايتهم[3] للإسلام حتى لا ينقطعوا عنه.

مـن هداية الآيـة:

الترغيب فى دعاء الله والتضـرع إليه وفى الحديث الدعاء[4] هو العبادة.

(٦) صِـرَاطَ الـذينَ أنْعَمتَ عَليهِم

شـرح الكلمات:

الصـــــراط : تقـدم بيانه.

الذين أنعمت عليهم: هـم النبيون والصـديقون والشهداء والصـالحون[5]، وكل من أنعم الله

---

(١) روى أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو الله عز وجل بدعوة ليس فيها إثم ولا قطيعة رحم إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث خصال: إمّا أن يعجل له دعوته وإما أن يدخرها له في الأخرى، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها قالوا: إذا نكثر، قال: الله أكثر.

(٢) فعل الهداية يتعدى بنفسه وبحرف الجر فمن الأول قوله تعالى: اهدنا الصراط المستقيم ومن الثاني قوله تعالى: فاهدوهم إلى صراط الجحيم.

(٣) الهداية نوعان: هداية بيان وإرشاد، وهذه تطلب من ذوي العلم، فهم يبينون للسائل طرق الخير ويرشدونه إليها. ،هداية توفيق إلى اعتقاد الحق ولزمه في الاعتقاد والقول والعمل، وهذه لا تطلب إلا من الله تعالى ومنها هذه الدعوة: اهدنا الصراط المستقيم ويشهد للهداية الأولى وهي هداية البيان قوله تعالى: ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾. ويشهد للثانية قوله تعالى: ﴿إنّك لا تهدي من أحببت﴾. فأثبت لنبيه هداية البيان ونفى عنه هداية التوفيق وهي الهداية القلبية الباطنة.

(٤) رواه أصحاب السنن، وصححه الترمذي عن النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٥) ورد هذا البيان في قوله تعالى من سورة النساء ﴿ومن يطع الله والرسول فأولائك مع الذين أنعم الله عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولائك رفيقاً﴾.

عليهم بالإيمان به تعالى ومعرفته، ومعرفة محابه، ومساخطه، والتوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

معنـى الآيـة :

لما سأل المؤمن له ولاخوانه الهداية الى الصراط المستقيم، وكان الصراط مجملاً بيّنه بقوله صراط الذين أنعمت عليهم وهو المنهج القويم المفضى بالعبد إلى رضوان الله تعالى والجنة وهو الاسلام القائم على الإيمان والعلم والعمل مع اجتناب الشرك[1] والمعاصى.

هدايـة الآية :

من هداية الآية ما يلى :

١- الاعتراف بالنعمـة

٢- طلـب حسـن القدوة

(٧) غير المَغْضُوبِ عَلَيهَمْ ولاَ الضَّالِّينَ

شـرح الكلمـات :

غيـر : لفظ يستثنى[2] به كـإلاّ.

المغضوب عليهم : من غضب الله تعالى عليهم لكفرهم وافسادهم فى الأرض كاليهود.

الضـاليـن من اخطأوا طريق الحق فعبدوا[3] الله بما لم يشرعه كالنصارى.

---

(١) الشرك: عبادة غير الله مع الله تعالى أو اعتقاد ربوبية أو ألهية كائن من كان مع الله تعالى ولو لم يعبده إشراك المخلوق في صفات الخالق الذاتية أو الفعلية.

(٢) لفظ غير مفرد مضاف دائما لفظا أو معنى وإدخال أل عليه خطأ وأصله الوصف ويستثنى به.

(٣) الضلال الانحراف والبعد عن الهدى المطلوب وهو في الشرع نوعان: ضلال في الاعتقاد، وضلال في العمل فالضلال في الاعتقاد: هو كل اعتقاد مخالف كلاً أو بعضاً للمعتقد الإسلامي الذي بينه الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ والضلال في العمل: هو عبادة الله تعالى بغير ما شرع والتقرب إليه عزّ وجل بما لم يشرعه قربة، ولا ينجو من هذا الضلال إلاّ من تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

معنى الآيـة :

لما سأل المؤمن ربّـه الصراط المستقيم وبينه بأنه صراط من أنعم عليهم بنعمة الإيمان[1] والعلم والعمل. ومبالغة فى طلب الهداية الى الحق، وخوفاً من الغواية استثنى كلاً من طريق المغضوب عليهم، والضالين.

هدايـة الآيـة :

من هداية الآية :

الترغيب فى سلوك سبيل الصالحين، والترهيب من سلوك سبيل الغاوين.

[تنبيه أول]: كلمة آمين ليست من الفاتحة. ويستحب أن يقولها الإمام إذا قرأ الفاتحة يمد بها صوته ويقولها المأموم، والمنفرد كذلك لقول الرسول ﷺ إذا أمن الإمام فأمنوا. أي قولوا آمين بمعنى اللهم استجب دعاءنا، ويستحب الجهر بها؛ لحديث ابن ماجة: كان النبي ﷺ إذا قال: غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال آمين حتى يسمعها أهل الصف الأول فيرتج بها المسجد.

[تنبيه ثان]: قراءة الفاتحة واجبة في كل ركعة من الصلاة، أمَّا المنفرد والإمام فلا خلاف في ذلك، وأمَّا المأموم فإن الجمهور من الفقهاء على أنه يسن له قراءتها في السريَّة دون الجهرية لحديث: من كان له إمام فقراءة الإمام له قراءة ويكون مخصصاً لعموم حديث: لاصلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب.

---

(١) لفظ النعمة اسم جنس تحته أربعة أنواع: الأولى: نعمة الإيمان بالله وبما أوجب الإيمان به الثانية: نعمة معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، والثالثة: نعمة معرفة محابه ومكارهه. والرابعة: نعمة التوفيق لفعل المحاب وترك المكاره.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ إذا أمّن الإمام فأمنوا فإنه من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنوبه.

سُورَةُ البَقَرَة (١)

مدنية وآياتها مائتان وست أو سبع وثمانون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ (٢) بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ
إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ
هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

(١) الٓمٓ

شرح الكلمة :

الٓمٓ : هذه من الحروف المقطعة تكتب الٓمٓ. وتقرأ هكذا : أَلِفْ لامْ مِيمْ. والسور المفتتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة أولها البقرة هذه وآخرها القلم «نٓ» ومنها الأحادية مثل صٓ. وقٓ، ونٓ، ومنها الثنائية مثل طه، ويسٓ، وحمٓ، ومنها الثلاثية والرباعية والخماسية ولم يثبت فى تفسيرها عن النبى ﷺ شيء وكونها من المتشابه الذى استأثر الله تعالى بعلمه أقرب إلى الصواب ولذا يقال

---

(١) ورد وصح في فضل سورة البقرة قوله ﷺ : «اقرأوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة، ولا يستطيعها البطلة» أي السحرة. وروى الترمذي وصححه أنّ النبي ﷺ بعث بعثاً وهم ذوو عدد وقدّم عليهم أحدثهم سنا لحفظه سورة البقرة وقال له: «اذهب فأنت أميرهم» وروي أيضاً أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة».

(٢) قرأ نافع يؤمنون بتخفيف الهمزة جمعاً وإفراداً في كامل القرآن وقرأها حفص مهموزة في كل القرآن.

فيها: الٓمٓ: الله أعلم[1] بمراده بذلك.

وقد استخرج منها بعض أهل العلم فائدتين: الأولى أنه لما كان المشركون يمنعون سماع[2] القرآن مخافة أن يؤثر في نفوس السامعين كان النطق بهذه الحروف حمٓ. طسٓ. ق. كٓهيعٓصٓ وهو منطق غريب عنهم يستميلهم إلى سماع القرآن فيسمعون فيتأثرون وينجذبون فيؤمنون ويسمعون وكفى بهذه الفائدة من فائدة.

والثانية لما انكر المشركون كون القرآن كلام الله أوحاه إلى رسوله محمد ﷺ كانت هذه الحروف بمثابة المتحدِّي لهم كأنها تقول لهم: ان هذا القرآن مؤلف من مثل هذه الحروف فألفوا انتم مثله. ويشهد بهذه الفائدة ذكر لفظ القرآن بعدها غالباً نحو ﴿الٓمٓ ذلك الكتاب﴾. ﴿الٓرٓ تلك آيات الكتاب﴾، ﴿طسٓ تلك آيات القرآن﴾، كأنها تقول: إنه من مثل هذه الحروف تألف القرآن فألفوا أنتم نظيره فإن عجزتم فسلموا أنه كلام الله ووحيه وآمنوا به تفلحوا.

ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ (٢)

شرح الكلمات:

ذلك[3]: هذا، وانما عُدل عن لفظ هذا إلى ذلك. لما تفيده الإشارة بلام البعد من علو المنزلة وارتفاع القدر والشأن.

الكتاب[4]: القرآن الكريم الذى يقرأه رسول الله ﷺ على الناس.

لا ريب[5]: لاشك فى أنه وحى الله وكلامه أوحاه الى رسوله.

---

(١) روي عن أبي بكر وعلي رضي الله عنهما، وعن عامر الشعبي وسفيان الثوري أنهم قالوا: الحروف المقطعة هي سرّ الله في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر. فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه. فلا ينبغي أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها.

(٢) دليله قوله تعالى من سورة فصلت: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾.

(٣) اسم الإشارة هو (ذا) وهو للقريب ويقال (ذاك) للمتوسط البعد و(ذلك) للبعيد.

(٤) يطلق لفظ الكتاب على الفرض نحو ﴿كتب عليكم الصيام﴾ أي فرض. وعلى العقد بين العبد وسيّده نحو ﴿والذين يبتغون الكتاب﴾ وعلى القدر نحو ﴿كتاب الله﴾ أي قدره وقضاؤه. ويصح في إعراب الكتاب أن يكون بدلاً من اسم الإشارة ويصح أن يكون خبراً له.

(٥) وريب الدهر صروفه وخطوبه، وأصل الرّيب قلق النفس لحديث الصحيح: «دع ما يريبك إلى مالا يريبك فإن الشك ريبة وإن الصدق طمأنينة».

فيه هدىً[1] : دلالةٌ على الطريق الموصل الى السعادة والكمال فى الدارين.

للمتقيـن[2] المتقين أي عذاب الله بطاعته بفعل أوامره واجتناب نواهيه.

معـنى الآية :

يخبر تعالى أن ما أنزله على عبده ورسوله من قرآن يمثل كتاباً فخمًا عظيمًا لا يحتمل الشك ولا يتطرق إليه احتمال كونه غير وحى الله وكتابه بحال، وذلك لإعجازه، وما يحمله من هدى ونور لأهل الايمان والتقوى يهتدون بهما الى سبل السلام والسعادة والكمال.

هدايـة الآيــة :

من هداية الآيـة :

١- تقوية الإيمان بالله تعالى وكتابه ورسوله، الحث على طلب الهداية من الكتاب الكريم.

٢- بيان فضيلة التقوى وأهلها.

الذين يؤمنون بالغيب، ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون

والذين يؤمنون بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون.

أولئك على هدىً من ربهم، واولئك هم المفلحون.

شــرح الجمل :

يؤمنون بالغيب : يصدقون تصديقاً جازماً بكل ما هو غيب[3] لا يدرك بالحواس كالربّ تبارك وتعالى ذاتاً وصفاتٍ والملائكة والبعث، والجنة ونعيمها والنار وعذابها.

ويقيمون[4] **الصلاة**[5] : يُديمـون أداء الصلوات الخمس فى أوقـاتهـا مع مراعـاة شرائطها وأركانها وسننها ونوافلها الراتبة وغيرها.

---

(١) الهدى مصدر هدى يهدي وهو مذكر نحو هذا هدىً وهو من أسماء النهار. وهو على وزن السُّرى والبُكى واللّقى من لقي الشيء يلقاه لُقى.

(٢) المتقي اسم فاعل من اتقى، الذي أصله وَقى إذا حفظ. واتقى بزيادة تاء الافتعال لاتخاذ وقاية تقيه وأبدلت واو وقى في اتقى تاء وزيدت فيها همزة الوصل وتاء الافتعال فصارت اتقى أي طلب الوقاية والحفظ مما يخاف ويكره.

(٣) الغيب مصدر غاب يغيب غيباً وغيبة إذا لم يظهر فلم يُرى للعيان ومعناه محصّل في الصدور. والإيمان. بالغيب مفتاح كل التقوى وكل خير.

(٤) إقام الصلاة جعلها قائمة أي مؤداة لا تسقط ولا تُهمل. نحو ﴿أقيموا الدين﴾ أي أظهروه بالعمل به والدعوة إليه، والصلاة عمود الدين فمن أقامها أقام الدين ومن أقعدها فلم يقمها فقد ترك الدين وأهمله.

(٥) الصلاة اسم جامد وزنها فعلة ولذا يجمع على صوات بفتح الفاء والعين واللام بمعنى الدعاء يقال: صلى إذا دعا وهي

ومما رزقناهم[1] ينفقون : من بعض ما آتاهم الله من مال ينفقون وذلك باخراجهم لزكـاة أمـوالهم وبانفاقهم على أنفسهم وأزواجهم وأولادهم ووالديهم وتصدقهم على الفقراء والمساكين.

يؤمنون بما أنزل إليك : يصـدقـون بالـوحى الـذى أنزل إليك ايها الرسول وهو الكتاب والسنة

وما أنزل من قبلك : ويصـدقـون بما أنزل الله تعالى من كتب على الرسل من قبلك كالتوراة والانجيل والزبور.

وبالآخرة هم يوقنون[2] : وبالحياة فى الدار الآخرة وما فيها من حساب وثواب وعقاب هم عالمون متيقنون لا يشكون فى شيء من ذلك ولا يرتابون لكامل إيمانهم وعظم اتقائهم.

أولئك على هدى من ربهم : الإشارة الى أصحاب الصفات الخمس السابقة والإخبار عنهم بأنهم بما هداهم الله تعـالى إليه من الايمان وصـالـح الأعمال هم متمكنون[3] من الاستقامة على منهج الله المفضي بهم إلى الفلاح.

واولئك هم المفلحون : الإشارة الى أصحاب الهداية[4] الكاملة والاخبار عنهم بأنهم هم المفلحـون[5] الجديرون بالفوز الذى هو دخول الجنة بعد النجاة من النار.

في الشرع عبادة ذات ركوع وسجود وتكبير وتلاوة وتسبيح تفتتح بالتكبير وتختتم بالتسليم.

(١) الرزق هو: كل ما أوجده الله تعالى في الدنيا للإنسان من صنوف الأموال وضروب المأكولات والمشروبات والملبوسات والمركوبات والمساكن، والمراد بالرزق في الآية: المال صامتاً كان أو ناطقاً.

(٢) اليقين: اسم فاعل من يقن الأمر وضح وثبت والمراد به: العلم الحاصل عن نظر وتفكر الموجب لعدم الشكّ واضطراب النفس.

(٣) دلّ على التمكّن من الاستقامة حرف «على» في قولهم على هدى من ربهم فإنها للاستعلاء إذ الراكب على الفرس متمكن منها يصرفها كيف يشاء لعلوه عليها.

(٤) وهم المتقون أصحاب الصفات الخمس التي هي الإيمان بالغيب، وإقام الصلاة، وانفاق مما رزقهم الله، والإيمان بما أنزل على محمد ﷺ وبما أنزل على من قبله والإيمان بالآخرة.

(٥) الفلاح: مشتق من فلح الأرض إذا شقها إذ الفلح الشق والقطع كما قال الشاعر:
إنّ الحديد بالحديد يفلح. أي يشق ويقطع. ومنه الفلاّح وهو الرجل يشق الأرض بالمحراث وعليه فالمفلح من شق طريقه بين صفوف أهل الموقف ودخل الجنة، ويطلق الفلاح على الفوز وهو السلامة من المرهوب والظفر بالمرغوب قال الشاعر:

لو كان حي مدرك الفلاح ... أدركه ملاعب الرّماح ... أي فاز به.

معنى الآيات :

ذكر تعالى فى هذه الآيات الثلاث صفات المتقين من الإيمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة، والايمان بما أنزل الله من كتب والايمان بالدار الآخرة وأخبر عنهم بأنهم لذلك هم على أتم هداية من ربهم، وانهم هم الفائزون فى الدنيا بالطهر والطمأنينة وفى الآخرة بدخول الجنة بعد النجاة من النار.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

دعوة المؤمنين وترغيبهم فى الاتصاف بصفات أهل الهداية والفلاح، ليسلكوا سلوكهم فيهتدوا ويفلحوا فى دنياهم وأخراهم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

شـرح الكلمات :

كفـروا : الكفـر: لُغة التغطية والجحود، وشرعاً التكذيبُ[1] بالله وبما جاءت به رسلُه عنه كلا أو بعضا.

سـواء[2] : بمعنى مُسْتَوٍ انذارهم وعدمه، إذ لا فائدة منه لحكم الله بعدم هدايتهم.

أأنذرتهم : الإنذار: التخويف بعاقبة الكفر والظلم والفساد.

---

(١) وقد يطلق الكفر على جحود النعمة والإحسان، ومن ذلك قوله ﷺ (يكفُرن العشير والإحسان) لما قال: «رأيت النار ورأيت أكثر أهلها النساء فقيل له بم يارسول الله؟ قال: يكفرن، قيل يكفرن بالله؟ قال: يكفرن العشير ـأي الزوج ـ ويكفر الإحسان.

(٢) سواء عليهم: هذا خَبَر إنّ الذين كفروا. وسواء اسم مصدر إذ فعله استوى والمصدر الاستواء واسم المصدر سواء، ولذا فهو بمعنى مستو أي: استوى انذارهم وعدمه في أنهم لا يؤمنون، وهذا من العام الخاص، إذ ما كل الكافرين لا يؤمنون وإنّما من كتبت عليهم الشقوة أزلاً كأبي لهب وأبي جهل وعقبة والعاصي والنضر وغيرهم.

ختـــم الله[1] طبع إذ الختم والطبع واحد وهو وضع الخاتم أو الطابع على الظرف حتى لا يعلم ما فيه، ولا يتوصل إليه فيبدل أو يغير.

الغشــــاوة : الغطاء يغشّى به ما يراد منع وصول شيء إليه.

العـــــذاب : الألم يزيل عذوبة الحياة ولذتها.

مناسبة الآيتين لما قبلهما ومعناهما :

لما ذكر أهل الإيمان والتقوى والهداية والفلاح ذكر بعدهم أهل الكفر والضلال والخسران فقال: [إن الذين كفروا][2] إلخ فأخبر بعدم استعدادهم للإيمان حتى استوى إنذارهم[3] وعدمه وذلك لمضى سنة الله فيهم بالطبع على قلوبهم حتى لا تفقه، وعلى آذانهم[4] حتى لاتسمع، وَيَجعلِ الغشاوة على أعينهم حتى لا تبصر، وذلك نتيجة مكابرتهم وعنادهم وإصرارهم على الكفر. وبذلك استوجبوا العذاب العظيم فحكم به عليهم. وهذا حكم الله تعالى فى أهل العناد والمكابرة والإصرار فى كل زمان ومكان.

هداية الآيتين

من هداية الآيتين :

١- بيان سنة الله تعالى فى أهل العناد والمكابرة والإصرار بأن يحرمهم الله تعالى الهداية وذلك بتعطيل حواسهم حتى لا ينتفعوا بها فلا يؤمنوا ولا يهتدوا.

٢- التحذير من الإصرار على الكفر والظلم والفساد الموجب للعذاب العظيم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ
مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾

---

(١) الختم حقيقته السّدّ على الإناء والغلق على الكتاب بطين ونحوه والخاتم هو ما سُدّ وأُغلق به.

(٢) قطعت جملة إن الذين كفروا ولم تعطف على السابق لكمال الانقطاع بينهما وهو التضاد إذ الأولى في ذكر الهداية والمهتدين، وهذه في ذكر الكفر والكافرين.

(٣) قد يقال: ما دام قد علم الله تعالى أن بعضا لا يؤمنون فلِمَ ينذرون؟ إذ إنذارهم مع العلم بأنه لا ينفعهم، تكليف بالمحال. والجواب: أن دعوة النبي ﷺ لكل أحد وهو ﷺ لم يعلم مَنْ كتب الله تعالى عليه الشقاء ممن كتب له السعادة فلذا هو يدعو وينذر ومَنْ كان من أهل السعادة أجاب الدعوة ومَنْ لم يكن من أهلها رفضها ولم يجب.

(٤) تقديم السمع على البصر في عدّة آيات من القرآن يفيد أن حاسة السمع أنفع من حاسة البصر وهو كذلك والعقل أعظم من ذلك.

يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ
وَمَا يَشْعُرُونَ (٩) فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ
وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ (١٠)

شرح الكلمات :

ومن الناس[١] : من بعض الناس[٢]

من يقول آمنا بالله[٣] : صدقنا بالله ربًا و إلـهاً لا إله غيره ولا رب سواه .

وباليوم الآخر : صدقنا بالبعث والجزاء يوم القيامة .

يخادعون[٤] **الله** : بإظهارهم الإيمان واخفائهم الكفر.

وما يخدعون الا أنفسهم[٥] : إذ عاقبة خداعهم تعود عليهم لا على الله ولا على رسوله ولا على المؤمنين .

وما يشعرون : لايعلمون أن عاقبة خداعهم عائدة عليهم .

فى قلوبهم مرض : فى قلوبهم شك ونفاق والم الخوف من افتضاح أمرهم والضرب على أيديهم .

فزادهم الله مرضا : شكاً ونفاقاً والماً وخوفاً حسب سنة الله فى أن السيئة لا تعقب إلّا سيئة .

عذاب أليم موجع شديد الوقع على النفس .

مناسبة الآية لما قبلها وبيان معناها :

لما ذكر تعالى المؤمنين الكاملين في ايمانهم وذكر مقابلهم وهم الكافرون البالغون فى الكفر

---

(١) ومن الناس خبر والمبتدأ من يقول والسر فى تقديم الخبر هنا هو إخفاء المخبر عنه؛ لأنه ذو صفات ذميمة، وأفعال شنيعة نحو قول: ما بال أقوام يقولون كذا وكذا بما هو مؤذن بالتعجب من حالهم أيضاً.

(٢) لفظ الناس مشتق من ناس ينوس إذا تحرك كذا قيل وهل هو من النسيان أو الأنس الكل محتمل لأن آدم نسي ولأنه حصل له الأنس بحوّاء.

(٣) أي اعتقدنا على علم أنّ الله لا إله إلا هو ولا رب سواه، إذ الإيمان التصديق الجازم بوجود الله تعالى ربا وإلها موصوفا بالكمال منزها عن كل نقصان، والتصديق بكل ما أمر الله تعالى بالإيمان به من الملائكة والكتب، والرسل والبعث والقدر.

(٤) وإن قيل: ما وجه مخادعتهم لله تعالى والمؤمنين بإظهارهم الإيمان والإسلام تمويها في نظرهم على الله، إذ لم يعرفوا جلاله وكماله وعلى المؤمنين ظنا منهم أنهم لا يعلمون ما يخفون في نفوسهم من الكفر والعداء. وأما مخادعة الله لهم فهي علمه تعالى بما يبطنون من الكفر والشرّ وعدم فضيحتهم بذلك فلم يكشف أسرارهم ولم يذكرهم في وحيه بأسمائهم. ومخادعة المؤمنين لهم هي علمهم بنفاقهم وعدم مؤاخذتهم به ونسبتهم إليه. هذا ولو قلنا أنّ صيغة المفاعلة هنا ليست على بابها فهي بمعنى خدع يخدع وذلك نحو عاقبت اللص وعالجت المريض فلم نحتج إلى ما ذكرنا والله أعلم.

(٥) قرأ نافع والجمهور وما يخادعون بألف بعد الخاء وقرأ حفص يخدعون بسكون الخاء.

منتهاه ذكر المنافقين وهم المؤمنون فى الظاهر الكافرون فى الباطن، وهم شر من الكافرين البالغين فى الكفر أشده.

أخبر تعالى أن فريقاً من الناس وهم المنافقون[1] يدعون الايمان بألسنتهم ويضمرون الكفر فى قلوبهم. يخادعون[2] الله والمؤمنين بهذا النفاق. ولما كانت عاقبة خداعهم عائدة عليهم. كانوا بذلك خادعين أنفسهم لا غيرهم ولكنهم لا يعلمون ذلك ولا يدرون به.

كما أخبر تعالى أن فى قلوبهم مرضا وهو الشك والنفاق والخوف، وأنه زادهم مرضا عقوبة لهم فى الدنيا وتوعدهم بالعذاب الأليم فى الآخرة بسبب كذبهم وكفرهم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

التحذير من الكذب والنفاق والخداع، وأن عاقبة الخداع تعود على صاحبها كما أن السيئة لا يتولد عنها إلا سيئة مثلها.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ
أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

شرح الكلمات :

الفساد فى الارض : الكفر وارتكاب المعاصى فيها

الإصلاح فى الأرض : يكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصى.

لا يشعرون : لا يدرون ولا يعلمون.

السفهاء : جمع سفيه : خفيف العقل لا يحسن التصرف والتدبير.

(١) المنافق كل من يظهر الإيمان ويبطن الكفر والمذكورون كانوا على عهد رسول الله ﷺ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنهم كانوا ثلاثمائة رجل ومائة وسبعين امرأة بعضهم من الأوس والخزرج وبعضهم من اليهود ورأس منافقي المشركين عبدالله بن أبيّ بن سلول ولم يُقبض رسول الله ﷺ حتى أسلم مَنْ أسلم وهلك مَن هلك إلاّ ما كان من عبدالله بن سبأ اليهودي الذي أوقد نار الفتنة بالتعاون مع المجوس.

(٢) الخدع أصله الإخفاء والفساد ومنه مخدع البيت الذي تخفى فيه الأشياء والخادع والمخادع بمعنى واحد وهو أن يظهر بقوله أو فعله أنه يريد النفع وهو يريد الضر. وهو حرام إلا في الحرب فإنه جائز.

معنى الآيات :

يخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا[1] قال لهم أحد المؤمنين لا تفسدوا[2] فى الأرض بالنفاق وموالاة اليهود والكافرين ردوا عليه قائلين: إنما نحن[3] مصلحون فى زعمهم فأبطل الله تعالى هذا الزعم وقرر أنهم هم وحدهم المفسدون لا من عرضوا بهم من المؤمنين، إلا أنهم لا يعلمون ذلك لاستيلاء الكفر على قلوبهم. كما أخبر تعالى عنهم بأنهم إذا قال لهم أحد المؤمنين أصدقوا فى ايمانكم وآمنوا إيمان فلان وفلان مثل عبدالله بن سلام ردوا قائلين: أنؤمن[4] إيمان السفهاء الذين لا رشد لهم ولا بصيرة[5] فرد الله تعالى عليهم دعواهم وأثبت السفه لهم ونفاه عن المؤمنين الصادقين ووصفهم بالجهل وعدم العلم.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ ذم الادعاء الكاذب وهو لا يكون غالباً إلا من صفات المنافقين.

٢ـ الإصلاح فى الأرض يكون بالعمل بطاعة الله ورسوله، والافساد فيها يكون بمعصية الله ورسوله ﷺ

٣ـ العاملون بالفساد فى الأرض يبررون دائما إفسادهم بأنه إصلاح وليس بإفساد.

وَإِذَا لَقُوا
الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا
مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (١٤) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٥) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ
بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (١٦)

(١) أصل الإفساد: جعل منفعة الشيء مضرّة كإفساد الطعام ونحوه بما يلقى فيه.
(٢) إذا: هنا ليست شرطية بل لمطلق الظرفية.
(٣) قولهم: إنما نحن مصلحون لاذمّ فيه وإنما جاءه الذمّ من كونهم مفسدين وادعوا أنهم مصلحون.
(٤) الاستفهام هنا انكاري أي: إذا دعوا إلى الإيمان أنكروا دعوة من دعاهم طاعنين في إيمان المؤمنين إذ نسبوهم الى السّفه، وهو خفّة العقل، وقلّة إدراك الأمور مبادىء وعواقب.
(٥) أي: بقوله: ألا إنهم هم السفهاء، فبرأ المؤمنين من هذا العيب ووصم به المنافقين وهم أهله حقاً فإنه لا سفه أكبر من الكفر بالحق والإيمان بالباطل.

شـرح الكلمات

لَـقُوا [1] : اللقاء : والملاقاة : المواجهة وجهاً لوجه .

آمنــوا : الايمان الشرعى : التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله ، وأهله هم المؤمنون بحق

خلــوا : الخـلُو بالشيْء [2] : الانفـراد به .

شياطينهمْ [3] : الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من انسان أو جان والمراد بهم هنا رؤساؤهم فى الشر والفساد .

مستهزئون [4] : الاستهزاء : الاستخفاف والاستسخار بالمرء

الطغيــان : مجاوزة الحد فى الأمر والاسراف فيه .

الْعَمَـه [5] : للقلب كالعمى للبصر : عدم الرؤية وما ينتج عنه من الحيرة والضلال

اشــتروا [6] : استبدلوا بالهدى الضلالة اى تركوا الإيمان وأخذوا الكفر .

تجارتهـم : التجارة : دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه ، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزاً وغنى فى الدنيا فخسروا ولم يربحوا إذ ذُلوا وعذبوا وافتقروا بكفرهم .

المهتـدى : السالك سبيلاً قاصدة تصل به إلى ما يريده فى أقرب وقت وبلا عناء والضال خلاف المهتدى وهو السالك سبيلا غير قاصدة فلا تصل به الى مراده حتى يهلك قبل الوصول .

---

(١) أصل لقوا : لقيوا نقلت الضمة إلى القاف ، وحذفت الياء لالتقاء الساكنين إذ فعله لقي كرضي .

(٢) عُدي فعل خلوا بـ إلى ولم يعدّ بالباء ، إذ يقال خلا بكذا لأن خلوا هنا بمعنى ذهبوا وانصرفوا .

(٣) فسّر بعضهم الشياطين بالكهان وبشياطين الجنّ ، والصحيح أنهم رؤساؤهم في الكفر والشرّ والفساد من منافقي اليهود وغيرهم .

(٤) أي : مكذبون بما ندعى إليه ساخرون من أهله .

(٥) العمه : انطماس البصيرة والتحيّر في الرأي وفعله عَمِه فهو عامه وأعمه .

(٦) الاشتراء : افتعال من شرى يشري بمعنى باع . إذ فعل شرى يكون بمعنى باع وبمعنى اشترى فاشترى كابتاع كلاهما مطاوع فعله شرى أو باع ، إذ كل من البائع والمشتري أخذ شيئا وأعطى آخر .

معـنى الآيـات :

مازالت الآيات تخبـرُ عن المنافقين وتصف أحوالهم إذأخبر تعالى عنهم في الآية الأولى (١٤) أنهم لنفاقهم وخبثهم إذا لقوا الذين آمنوا فى مكان ما أخبروهم بأنهم مؤمنون بالله والرسول وما جاء به من الدين، وإذا انفردوا برؤسائهم فى الفتنة والضلالة فلاموهم عما ادّعـوه من الإيمان قالوا لهم إنا معكم على دينكم وَمَا آمنا أبداً. وإنما أظهرنا الإيمان استهزاءً وسخرية بمحمد وأصحابه.

كما أخـبر فى الآية الثـانية (١٥) أنه تعالى يستهزىء بهم معاملة لهم بالمثل جزاء وفاقاً ويزيدهم[١] حسب سنته فى أن السيئة تلد سيئة فى طغيانهم لتزداد حيرتهم واضطراب نفوسهم وضلال عقولهم. كما أخبر فى الآية (١٦) أن أولئك البعداء فى الضلال قد استبدلوا الايمان بالكفر والإخلاص بالنفاق فلذلك لا تربح تجارتهم[٢] ولا يهتدون الى سبيل ربح أو نُجْح محال.

هداية الآيـات

من هداية الآيـات :

١ـ التنـديد بالمنـافقين والتحذير من سلوكهم في مُلاَقَاتِهِمْ هذا بوجه وهذا بوجه آخر وفى الحديث: شراركم ذو الوجهين[٣]

٢ـ إن من الناس[٤] شياطين يدعون الى الكفر والمعاصى[٥]، ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف.

٣ـ بيان نقم الله، وانزالها بأعدائه عز وجل.

---

(١) تفسير لقوله تعالى ويمدهم إذ المدّ الزيادة يقال مدّه بكذا إذا زاده وقيل يستعمل أمدّ في الخير نحو: نمددكم بأموال وبنين، ويستعمل مدّ في الشر كما في الأية: ويمدّهم في طغيانهم يعمهون.

(٢) اسناد الربح إلى التجارة لكونها سبباً للربح، وإلاّ فالربح للتاجر لا للتجارة، وهذا الاستعمال معروف في اللغة نحو قول الشاعر:

نهارك هائم وليلك نائم　　كذلك في الدنيا تعيش البهائم

إذ أسند الهيام إلى النهار والنوم إلى الليل.

(٣) رواه البخاري، ومسلم والشاهد منه في قوله ﷺ: «وتجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه».

(٤) شيطان الإنس كشيطان الجن، إذ كل من بَعُدَ في الشرّ وتوغل فيه وأصبح لا يروم الخير ولا يحبه فهو شيطان يستعاذ بالله منه.

(٥) المعاصي: جمع معصية وهو ترك ما أوجب الله ورسوله القيام به أو فعل ما حرّم الله ورسوله فعله، سواء في ذلك الاعتقاد، والقول، والعمل إذ الواجبات والمنهيات تكون في الاعتقاد والقول والعمل.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ
ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ
بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ
ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ
حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ
أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ
وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

شرح الكلمات :

مثلهم[١] : صفتهم[٢] وحالهم.

استوقد : أوقد ناراً

صمٌ، بكم عميٌ : لا يسمعون ولا ينطقون ولا يبصرون.

الصيّب : المطر.

الظلمات : ظلمة الليل وظلمة السحاب وظلمة المطر.

الرعد : الصوت القاصف يُسمع[٣] حال تراكم السحاب ونزول المطر.

البرق : ما يلمع من نور حال تراكم السحاب ونزول المطر.

الصواعق : جمع صاعقة: نار هائلة تنزل اثناء قصف الرعد ولمعان البرق يصيب الله تعالى بها من يشاء.

---

(١) قوله تعالى: مثلهم الآيات تضمّن مثلين: ناريا وهو المثل الأول ومائياً وهو المثل الثاني والمثلان واقعان من السياق الأول موقع البيان والتقرير، والفذلكة ولذا لم تعطف جملة مَثَلهم لكمال الاتصال بينها وبين الجمل السابقة

(٢) القول السائر: مثل: أحشفا وسوء كيله؟ والصيف ضيّعتِ اللبن

ويعرّف المثل بأنه قول شبه مضربه بمورده، ومضربه هو الحال المشبه ومورده هو الحال المشبّه بها.

(٣) ظاهرة الرعد والبرق يفسرها علماء الطبيعة بأنه نتيجة اتحاد كهرباء السحاب الموجبة بالسالبة.

حَذَرَ المـوت : توقيـا للموت

محيــط : المحيط المكتنف للـشيء من جميع جهاته .

يكـــاد : يقــرب .

يخطــف : يأخــذه بســرعة .

أبصــارهـم : جمع بصر وهو العين المبصـرة .

معنى الآيـات :

مثل[1] هؤلاء المنافقين فيما يظهرون من الايمان مع ما هم مبطنون من الكفر كمثل[2] من أوقد ناراً للاستضاءة بها فلما اضاءت لهم ما حولهم وانتفعوا بها أدنى انتفاع ذهب الله بنورهم[3] وتـركهم فى ظلمات لا يبصرون. لأنهم بإيمانهم الظاهر صانوا دماءهم وأموالهم ونساءهم وذراريهم من القتل والسبي وبما يضمرون من الكفر اذا ماتوا عليه يدخلون النار فيخسرون كل شيء حتى أنفسهم هذا المثل تضمنته الآية الأولى (١٧) وأما الآية الثانية (١٨) فهى إخبار عن أولئك[4] المنافقين بأنهم قد فقدوا كل استعداد للاهتداء فلا آذانهم تسمع صوت الحق ولا ألسنتهم تنـطق به ولا أعينهم تبصر آثاره وذلك لتوغلهم فى الفساد فلذا هم لا يرجعون عن الكفر إلى الايمان بحال من الأحوال. واما الآية الثالثة والرابعة (١٩) (٢٠) فهما تتضمنان مثلا آخر لهؤلاء المنافقين. وصورة المثل العجيبة والمنطبقة على حالهم هى مَطر[5]

---

(١) المثَل: متحرك الوسط الأصل فيه أنه النّظير والمشابه وفيه لغات وهي:

المِثل بكسر الميم والمثيل بفتح الميم وكسر المثلثة وإشباعها. ونظير المثل الشبه والبديل ففي كل واحد ثلاث لغات ولا نظير لها في اللغة، يقال: شِبْه وشَبَه وشبيه وبِدل وبَدَل وبَدِيل.

(٢) قوله: الذي استوقد ناراً. مفرد وقوله: ذهب الله بنورهم جمع فهل الذي هنا بمعنى الذين على حدّ قول القائل:

وإن الذي حانت دماؤهم هم القوم كل القوم يا أم خالد

من الجائز أن يكون الذي بمعنى الذين لوروده في فصيح اللغة، وهو من باب الالتفات لا غير.

(٣) عدل عن لفظ: ذهب الله بنارهم. إلى قوله نورهم إشارة إلى أنّ الإسلام نور يهدي لا نار تحرق.

(٤) يرى ابن كثير أن هؤلاء المنافقين كانوا قد آمنوا ثم بعد إيمانهم كفروا في الباطن مظهرين الإيمان في الظاهر، ويرى ابن جرير خلاف ذلك وهو: أنهم ما آمنوا ثم كفروا، وإنما آمنوا في الظاهر لا غير، واحتج عليه ابن كثير بقول الله تعالى في سورة المنافقين: ﴿ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا..﴾ الآيات.

(٥) هو الصيّب في قوله ﴿أو كصيّب﴾، وأصل صيّب صيوب قلبت فيه الواو ياء وأدغمت في الياء نظيره سيد وميّت لأن الفعل ساد يسود، ومات يموت فسيد أصلها سيود، وميّت أصلها ميوت وقلبت الواو ياء وأدغمت واو في قوله ﴿أو كصيّب﴾ هي بمعنى الواو.

غزير فى ظلمات مصحوب برعد قاصف وبرق خاطف وهم فى وسطه مذعورون خائفون يسدون آذانهم بأنامل أصابعهم حتى لا يسمعوا صوت الصواعق حذراً أن تنخلع قلوبهم فيموتوا، ولم يجدوا مفرا ولا مهرباً لأن الله تعالى محيط بهم هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن البرق لشدته وسرعته يكاد يخطف أبصارهم فيعمون، فإذا أضاء لهم البرق الطريق مشوا فى ضوئه واذا انقطع ضوء البرق وقفوا حيارى خائفين، ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم لأنه تعالى على كل شىء قدير هذه حال اولئك المنافقين والقرآن ينزل بذكر الكفر وهو ظلمات وبذكر الوعيد وهو كالصواعق والرعد وبالحجج والبينات وهى كالبرق فى قوة الاضاءة، وهم خائفون أن ينزل القرآن بكشفهم وازاحة الستار عنهم فيؤخذوا، فإذا نزل بآية لا تشير إليهم ولا تتعرض بهم مشوا فى إيمانهم الظاهر. وإذا نزل بآيات فيها التنديد بباطلهم وما هم عليه وقفوا حائرين لا يتقدمون ولا يتأخرون ولو شاء الله أخذ أسماعهم وأبصارهم لفعل لأنهم لذلك أهل وهو على كل شىء قدير.[1]

هداية الآيات:

من هداية هذه الآيات ما يلى:

١ـ استحسان ضرب الأمثال لتقريب المعانى إلى الأذهان.

٢ـ خيبة سعى أهل الباطل وسوء عاقبة أمرهم.

٣ـ القرآن تحيا به القلوب كما تحيا الأرض بماء المطر.

٤ـ شر الكفار المنافقون.

يَـٰٓأَيُّهَا[2] ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟[3] رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ

(١) القدير والقادر والمقتدر بمعنى واحد إلا أن القدير أبلغ لأنه من أمثلة المبالغة وقدرة الله تتعلق بالممكنات القابلة للوجود والعدم، فلا يقولنّ قائل: هل يقدر الله على خلق ذات كذاته سبحانه وتعالى؟

(٢) يا: حرف نداء للبعيد وينادى بها القريب تعظيماً له نحو يا الله يا رب وهو تعالى أقرب من حبل الوريد. أي: صلة للتوصل بها لنداء ما فيه أل نحو أيّها النّاس. ها: حرف تنبيه أقحمت بين (أي) والمنادى.

(٣) أصل العبادة: الخضوع والتذلل، مشتق من قولهم طريق مُعبّد إذا كان موطوءاً بالأقدام وهي في الشرع: طاعة الله ورسوله بالإيمان وفعل الأمر واجتناب النهي مع غاية الحب والتعظيم لهما والتذلل لله وحده.

وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ[1] تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ[2] لَكُمُ
ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ
بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ[3] رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾

شـرح الكلمـات :

النـاس : لفظ جمع لا مفرد له من لفظه، واحده إنسان.

اعبـدوا : أطيعوا بالإيمان والامتثال للأمر والنهي مع غاية الحب لله والتعظيم.

ربكـم : خالقكم ومالك أمركم وإلهكم الحق.

خلقكـم : أوجدكم من العدم بتقدير عظيم.

تتقـون : تتخذون وقاية تحفظكم من عذاب الله، وذلك بالإيمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصي.

فراشـا : وطاء للجلوس عليها والنوم فوقها.

بنـاءً : مَبْنِيَّة كقبة فوقكم.

الثمـرات : جمع ثمرة[4] وهو ما تخرجه الأرض من حبوب وخضر وتخرجه الأشجار من فواكه

رزقا لكـم : قوتا لكم تقتاتون به فتحفظ حياتكم إلى أجلها.

---

(١) لعل: هنا على بابها وهو الترجي والتوقع ولكن بالنظر إلى الناس لا إلى الله تعالى فالناس هم الذين يرجون حصول النجاة لهم، ويتوقعونه بعبادتهم لربهم تعالى وقد تكون لعلّ بمعنى كي التعليلية أي: اعبدوا ربكم كي تدفعوا عذابه ويشهد له قول الشاعر:

وقلتم لنا كفوا الحروب لعلنا نكفّ ووثقتم لنا كل موثق

إذ المعنى كفوا لنكفّ.

(٢) جعل هنا بمعنى صَيَّر لأنه ناصب لمفعولين هما الأرض فراشاً، ويكون فعل جعل بمعنى خلق نحو: ما جعل الله من بحيرة.

(٣) وتجمع الثمرة على ثمر كشجر، وثمار وثُمر كخُشُب.

(٤) أنداداً جمع ندّ بكسر النون بمعنى الكفء والمثيل، والمراد به هنا الشريك لله في عبادته، لقول الرسول ﷺ: في الصحيح وقد سأله ابن مسعود عن أعظم الذنب: أن تجعل لله ندًا وهو خلقك، وقوله ﷺ: للذي قال: ما شاء الله وشئت. «أجعلتني لله ندا، قل ما شاء الله وحده». رواه النسائي وغيره. والنَّدّ بفتح النون عود يتطيب به وندّ البعير إذا هرب وفر، وندد بفلان شهره وسمّع به.

أنـداداً : جمع ندّ: النظير والمثيل تعبدونه دون الله أو مع الله تضادون به الرب تبارك وتعالى.

المناسبة ومعنى الآيتين :

وَجْه المناسبة أنه تعالى لما ذكر المؤمنين المفلحين، والكافرين الخاسرين ذكر المنافقين وهم بين المؤمنين الصادقين والكافرين الخاسرين ثم على طريقة الالتفات نادى الجميع بعنوان الناس ليكـون نداء عامـا للبشرية جمعـاء فى كل مكان وزمان وأمرهم بعبادته ليقوا أنفسهم من الخسران . معرفاً لهم نفسه ليعرفوه بصفات الجلال والكمال فيكون ذلك أَدعىٰ لاستجابتهم له فيعبدونه عبادة تنجيهم من عذابه وتكسبهم رضاه وجنته، وختم نداءه لهم بتنبيههم عن اتخاذ شركاء له يعبدونهم معه مع علمهم[1] أنهم لا يستحقون العبادة لعجزهم عن نفعهم أو ضرهم .

هدايـة الآيتين :

من هدايـة الآيتين :

١ـ وجوب عبادة الله تعالى، اذ هى[2] علة الحياة كلها.

٢ـ وجوب معرفة[3] الله تعالى بأسمائه وصفاته .

٣ـ تحريم الشرك صغيره وكبيره ظاهره وخفيه .

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم[4] مِّن دُونِ اللَّهِ

---

(١) أثبت لهم العلم الخاص بهم وهو علمهم بأن الله هو الخالق الرازق المحي المميت . إذا كانوا يعلمون ذلك ويعترفون به كما أنه لما عرّفهم بنفسه في السياق إذ قال: ﴿الذي خلقكم والذين من قبلكم . . . الذي جعل لكم الأرض فراشا﴾ الخ فلما عرفوا نهاهم عن اتخاذهم أندادا له يعبدونهم معه، والحال أنهم يعلمون أنه وحده المستحق للعبادة.

(٢) لما روي عنه ﷺ أنه قال: «يقول الله تعالى : يا ابن آدم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي»، أي لعبادته تعالى، وفي القرآن الكريم: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾.

(٣) إذ معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته يتوقف عليها خشيته ومحبته لقوله تعالى : ﴿إنّما يخشى الله من عباده العلماء﴾، وما يتوقف الواجب عليه فهو واجب عقلاً وشرعاً.

(٤) أي ادعوهم لأمرين: الأول ليعينوكم على الإتيان بالمطلوب . والثاني ليحضروا اتيانكم ويشاهدوه فيشهدون لكم بذلك.

إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ
ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾

شرح الكلمات :

الريب : الشك مع اضطراب النفس وقلقها

عبدنا[1] : محمد ﷺ.

من مثله : مثل القرآن ومثل محمد فى أمّيته.

شهداءكم : أنصاركم. وآلهتكم التى تدعون انها تشهد لكم عند الله وتشفع.

وقودها : ما تتقد به وتشتعل وهو الكفار والأصنام المعبودة مع الله عز وجل.

أعدت : هيئت وأحضرت.

الكافرين : الجاحدين لحق الله تعالى فى العبادة له وحده المكذبين برسوله وشرعه.

مناسبة الآية ومعناها :

لما قرر تعالى فى الآية السابقة أصل الدين وهو التوحيد الذى هو عبادة الله تعالى وحده قرر في هذه الآية أصل الدين الثانى وهو نبوة رسوله محمد ﷺ وذلك من طريق برهانى وهو ان كنتم فى شك من القرآن الذى أنزلناه على عبدنا رسولنا محمد فاتوا بسورة من مثل سوره أو من رجل أمى مثل عبدنا فى أميته فإن لم تأتوا لعجزكم فقوا أنفسكم من النار بالايمان بالوحى الإلهى وعبادة الله تعالى بما شرع فيه.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١ـ تقرير نبوة رسول الله ﷺ بإثبات نزول القرآن عليه.

٢ـ تأكد عجز البشر عن الاتيان بسورة مثل سور القرآن الكريم لمرور ألف سنة وأربعمائة

---

(١) اسم العبد مأخوذ من التعبد والتذلل : لأن المملوك يذلله مالكه بالخدمة ويعبده بكثرة استخدامه. ولمّا كانت عبادة الله أشرف الخصال كان التسمي بها أشرف الأسماء، فلذا سمى الله تعالى رسوله محمداً عبداً كما في هذه الآية وآية الإسراء وأنشدوا لهذا قول الشاعر:

يا قومي قلبي عند زهراء   يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بياعبدها   لأنه أشرف أسمائي

وست سنين والتحدى قائم ولم يأتوا بسورة مثل سور القرآن لقوله تعالى «ولن تفعلوا».

٣ـ النار تتقى بالايمان والعمل الصالح وفى الحديث الصحيح، «اتقوا النار ولو بشق تمرة»[١].

وَبَشِّرِ[٢] ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُواْ هَـٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَـٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

شـرح الكلمات :

بشـــر[٣] : التبشير: الإخبار السّار وذلك يكون بالمحبوب للنفس.

تجرى من تحتها : تجرى الأنهار من خلال أشجارها وقصورها والأنهار هى أنهار الماء وأنهار اللبن وأنهارالخمر وأنهار العسل[٤].

وأتوا به متشابهاً : أعطوا الثمار وقدم لهم يشبه بعضه بعضاً فى اللون مختلف فى الطعم.

مطهّـــرة : من دم الحيض[٥] والنفاس وسائر المعائب والنقائص

خالـــدون : باقون فيها لا يخرجون منها أبداً.

المناسبة والمعنى :

لما ذكر تعالى النار وأهلها ناسب أن يذكر الجنة وأهلها ليتم الترهيب والترغيب وهما أداة الهداية والإصلاح.

فى هذه الآية الكريمة أمر الله تعالى رسوله أن يبشر المؤمنين المستقيمين بما رزقهم من جنات تجرى من تحتها الأنهار[٦] لهم فيها أزواج مطهرات نقيات من كل أذى وقذر وهم فيها

---

(١) رواه البخاري.

(٢) هذا من باب ذكر الترغيب بعد الترهيب وعطفه عليه، فقد أنذر الكافرين وواعد المؤمنين ليكون ذلك مثبطاً عن الأعمال الفاسدة منشطاً على الأعمال الصالحة.

(٣) ويطلق لفظ التبشير على الخبر المحزن غير السار تهكمّا بصاحبه نحو قوله تعالى: ﴿فبشّرهم بعذاب أليم﴾

(٤) المذكورة في آية سورة القتال.

(٥) وكذا البول والغائط.

(٦) أي من تحت أشجارها، وإن لم يجر للأشجار ذكر لأن الجنّات دالة عليها.

خالدون. كما أخبر عنهم بأنهم إذا قدم لهم أنواع الثمار المختلفة قالوا هذا الذى رزقنا مثله فى الدنيا. كما أخبر تعالى أنهم اوتوه متشابها فى اللون غير متشابه فى الطعم زيادة فى حسنه وكماله. وعظيم الالتذاذ به.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١- فضل الايمان والعمل الصالح إذ بهما[١] كان النعيم المذكور فى الآية لأصحابهما.

٢- تشويق المؤمنين الى دار السلام،[٢] وما فيها من نعيم مقيم ليزدادوا رغبة فيها وعملا لها. بفعل الخيرات وترك المنكرات.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَـٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾

شرح الكلمات :

لا يستحى[٣] : لا يمنعه الحياء[٤] من ضرب الأمثال وإن صغرت كالبعوضة أو أصغر منها كجناحها

(١) بعد فضل الله تعالى ورحمته.

(٢) سميت دار السلام: لسلامتها من وجود المنغصات فيها، إذ لا مرض ولا هرم ولا ألم ولا تعب بها أبداً.

(٣) لا يستحيي: بياءين، ويستحي بياء واحدة هما قراءتان سبعيتان، والأخيرة على لغة تميم، واسم الفاعل من الأولى مستحيي، ومن الثانية مستح.

(٤) الحياء: تغيّر وانكسار يعتري الإنسان عند الخوف مما يعاب به أو يذم، والله يوصف بالحياء على الوجه اللائق به فصفة الحياء عنده تعالى لا تشبه صفات المحدثين كسائر صفاته سبحانه وتعالى والاستحياء والحياء بمعنى واحد، وفي الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود والترمذي يقول الرسول ﷺ: «إن الله حيي كريم يستحي أن يرفع إليه العبد يديه فيردهما صفراً». فقد أثبت صفة الحياء لله عز وجل وهو قطعاً حياء واستحياء لا يشبه حياء واستحياء البشر بحال من الأحوال.

أن يضرب مثلاً : أن يجعل شيئا مثلا لآخر يكشف عن صفته وحاله فى القبح أو الحسن

ما بعوضـــة : ما نكرة بمعنى شىء أيّ شىء كان يجعله مثلاً، أو زائدة. وبعوضة المفعول الثانى. والبعوضة واحدة البعوض وهو صغار البق.

الحـــــق : الواجب الثبوت الذى يحيل العقل عدم وجوده

الفاســـقون : الفسق الخروج عن الطاعة، والفاسقون: هم التاركون لأمر الله تعالى بالايمان والعمل الصالح، وبترك الشرك والمعاصى.

ينقضـــون : النقض الحلّ بعد الإبرام.

عهد اللـــه : ما عهد به إلى الناس من الإيمان والطاعة له ولرسوله صلى الله عليه وسلم.

من بعد ميثاقه : من بعد إبرامه وتوثيقه بالحلف أو الإشهاد عليه.

يقطعون ما أمر الله به أن يوصـل : من إدامة الإيمان والتوحيد والطاعة وصلة الأرحام.

يفسدون في الأرض : الإفساد فى الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصى.

الخاســـرون : الكاملون فى الخسران بحيث يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة.

سبب النـزول والمعانى

لما ضرب الله تعالى المثلين السابقين النارى والمائى [1] قال المنافقون: الله أعلى وأجل أن يضرب هذا المثل فانزل الله تعالى رداً عليهم قوله ﴿إن الله لا يستحى﴾ الآية.

فأخبر تعالى أنه لا يمنعه الاستحياء ان يجعل مثلا بعوضة [2] فما دونها [3] فضلا عما هو أكبر [4]. وان الناس حيال ما يضرب الله من أمثال قسمان مؤمنون فيعلمون أنه الحق من ربهم. وكافرون: فينكرونها ويقولون كالمعترضين: ماذا أراد الله بهذا مثلا!؟.

كما أخبر تعالى أن ما يضرب من مثل يهدى به كثيراً من الناس ويضل به كثيرا، وانه لا يضل به إلا الفاسقين الذين وصفهم بقوله: ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه

(١) أورده ابن جرير وارتضاه.

(٢) في قوله ما بعوضة إعرابات كثيرة لا طائل تحتها فنصب بعوضة على أنها بدل من ما النكرة التي هي في محل نصب بفعل يضرب بمعنى يجعل. ورفع بعوضة على أنها خبر، والمبتدأ هو ما على أنها موصولة والتقدير: الذي هو بعوضة.

(٣) كالذرّة.

(٤) كالفراشة والجرادة.

ويقطعون ما أمر الله به ان يوصل، ويفسدون فى الأرض﴾. وحكم عليهم بالخسران التام يوم القيامة فقال: ﴿أُولئكَ هُمْ الخَاسِرُون﴾

هداية الآيـة

من هداية الآيتين ما يلى:

١ـ أن الحياء لا ينبغى أن يمنع من فعل المعروف وقوله والأمر به.

٢ـ يستحسن ضرب الأمثال لتقريب المعانى الى الاذهان.

٣ـ اذا أنزل الله خيراً من هدى وغيره يزداد به المؤمنون هدى وخيراً، ويزداد به الكافرون ضلالاً وشرا، وذلك لاستعداد الفريقين النفسى المختلف.[1]

٤ـ التحذير من الفسق[2] وما يستتبعه من نقض العهد، وقطع الخير، ومنع المعروف.

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾

شـرح الكلمات:

كيف[3] تكفرون بالله: الاستفهام هنا للتعجب مع التقريع والتوبيخ، لعدم وجود مقتض للكفر.

وكنتم أمواتا فأحياكم: هذا برهان على بطلان كفرهم، إذ كيف يكفر العبد ربه وهو الذى خلقه بعد أن لم يك شيئا.

---

(١) إذا المؤمنون مستعدون للخير والكافرون مستعدون للشرّ.

(٢) الفسق: الخروج عن طاعة الله ورسوله، فإن كان الخروج على الطاعة في أصول الدين فصاحبه كافر، وإن كان في الفروع فلا يكفر صاحبه، ولا يقال: الفاسق إلا للذي أكثر من الفسق فأصبح الفسق وصفا لازماً له لا ينفك عنه لكثرته منه وتوغله فيه.

(٣) اسم استفهام مبني على الفتح يسأل به عن الحال ويضمّن معنى التعجب كما هنا، إذ كيف يصح من العاقل أن ينكر خالقه وهو يعرف أنه مخلوق إذ كان عدماً فأوجده.

ثم يميتكم ثم يحييكم : إن إماتة الحى واحياء الميت كلاهما دال على وجود الرب تعالى وقدرته .

ثم إليه ترجعـــون : يريد بعد الحياة الثانية وهو البعث الآخر.

خلق لكم[1] ما في الأرض جميعا : أى أوجد ما أوجده من خيرات الأرض كل ذلك لأجلكم كي تنتفعوا به فى حياتكم

ثم استوى[2] الى السمـاء : علا وارتفع قهرا لها فكونها سبع سماوات .

فســواهــن : أتمّ خلقهن سبع سماوات تامات .

وهو[3] بكل شيء عليم : إخبار بإحاطة علمه تعالى بكل شيء ، وتدليل على قدرته وعلمه ووجوب عبادته .

معنى الآيتين :

ما زال الخطاب مع الكافرين الذين سبق وصفهم بأخس الصفات وأسوأ الأحوال حيث قال لهم على طريقة الالتفات موبخاً مقرعاً : ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم﴾ الآية .

وذكـر من أدلـة وُجوده وكرمه . ما يصبح الكفر به من أقبح الأمور وصاحبه من احط الخلائق وأسوأهم حالا ومآلا . فمن أدلة وجوده الاحياء بعد الموت والإماتة بعد الإحياء ومن أدلـة كرمه وقدرته أن خلق الناس فى الأرض جميعا لتوقف حياتهم عليه وخلق السموات السبع ، وهو مع ذلك كله علمه محيط بكل شيء سبحانه لا إله إلا هو ولا رب سواه .

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ ـ إنكار الكفر بالله تعالى .

٢ ـ إقامة البرهان على وجود الله وقدرته ورحمته

---

(١) لحديث : يا ابن ادم لقد خلقت كل شيء من أجلك وخلقتك من أجلي : أي : من أجل أن تذكرني وتشكرني فعلّة الحياة كلها ذكر الله تعالى وشكره .

(٢) ذهب ابن كثير إلى أن استوى هنا مضمّن معنى قصد لتعديته بإلى إذ يقال استوى على كذا إذا كان بمعنى العلو والارتفاع ، واستوى إلى كذا إذا قصده ، ويكون المعنى ثمّ قصد إلى السماء أي السموات فخلقهن سبع سموات ، ولفظ السماء اسم جنس تحته أفراد لذا قال فسوّاهن بالجمع .

(٣) قرىء في السبع بفتح الهاء من فهو، وقرىء بإسكانها وهذا عام في كل لفظ إذا تقدمه واو أو فاء عطف . أدخلت عليه اللام نحو: فهو كذا وهذا التسكين للتخفيف .

٣ـ حلّية كل[1] ما فى الأرض من مطاعم ومشارب وملابس ومراكب الا ما حرمه الدليل الخاص من الكتاب أو السنة لقوله: ﴿خلق[2] لكم ما في الأرض جميعا﴾.

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟[3] أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ



شـرح الكلمات:

الملائكـة : جمع مَلْأك ويخفف فيقال مَلَك وهم خلق من عالم الغيب أخبر النبى ﷺ ان الله تعالى خلقهم من نور.[4]

الخليفـ[5]ـة : من يخلف غيره، والمراد به هنا آدم عليه السلام.

يفسـد فيهـا : الافساد فى الأرض يكون بالكفر وارتكاب المعاصى.

يسـ[6]ـفك : يسيل الدماء بالقَتْلِ وَالجَرْحِ.

نسبح بحمدك : نقول سبحان الله وبحمده. والتسبيح: التنزيه عما لا يليق بالله تعالى.

ونقدس لـك : فننزهك عما لا يليق بك. والتقديس: التطهير والبعد عما لا ينبغى. واللام فى لك زائدة لتقوية المعنى إذ فعل قدس يتعدى بنفسه يقال قدّسه.

---

(١) ذهب بعضهم إلى أن الأصل في الأشياء الحظر حتى يأتي دليل الإباحة لأن المملوكات لا تحل إلّا بإذن مالكها فهذا مذهب ثان حسن ذكره.

(٢) أي خلق لكم ما في الأرض جميعاً من أجل أن تتقوا به على طاعته لا على معصيته.

(٣) المفروض أن يقترن (قالوا) بالفاء ولكن نظراً إلى أسلوب الحوار لم يقترن بها كما في قوله: ﴿قالوا سبحانك﴾.

(٤) خلق الملائكة من النور صح عن النبي ﷺ في صحيح مسلم.

(٥) استدل بهذه الآية على وجوب نصب خليفة للمسلمين يحكمهم بشريعة ربهم عزّ وجلّ.

(٦) السفك: الصبّ يقال سفك الدم إذا صبّه كما يقال سفحه، والسفاك والسفاح بمعنى إلاّ أن السفاح قد يراد به كثير الكلام، وسفك الدمع كذلك، والدم المسفوح، المصبوب.

معنى الآيـة

يأمر تعالى رسوله أن يذكر قوله للملائكة انى جاعل فى الأرض خليفة يخلفه فى إجراء أحكامه فى الأرض، وان الملائكة تساءلت[1] متخوفة من أن يكون هذا الخليفة ممن يسفك الدماء ويفسـد فى الأرض بالكفر والمعاصى قياساً على خلق من الجن حصل منهم ما تخوفوه. فأعلمهم ربهم أنه يعلم من الحِكم والمصالح مالا يعلمون.

والمراد من هذا التذكير: المزيد من ذكر الأدلة الدالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته الموجبة للايمان به تعالى ولعبادته دون غيره.

هدايـة الآية

من هداية الآيـة :

١ـ سؤال من لا يعلم غيره ممن يعلم.

٢ـ عدم انتهار السائل وإجابته أو صرفه بلطف.

٣ـ معرفة بدء الخلق.

٤ـ شرف آدم وفضله.

وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ
فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ
﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ
أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا
تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾

---

(١) إذ هو سُؤال استعلام واستكشاف عن الحكمة في ذلك وليس هو من باب الاعتراض على الله ابداً.

شـرح الكلمات :

آدم [1] : نبيّ الله أبو البشر عليه السلام .

الأســمــاء : أسماء الأجناس كلها كالماء والنبات والحيوان والانسان .

عرضـــهم : عرض المسميات أمامهم ، ولما كان بينهم العقلاء غلب جانبهم ، وإلا لقال عرضها

أنبــئونى : أخبرونـــى .

هـــؤلاء : المعروضين عليهم من سائر المخلوقات .

سـبحانك [2] : تنزيها لك وتقديسـاً .

غيب السـموات : ما غاب عن الأنظار فى السموات والأرض .

تبــدون : تظهرون من قولهم ﴿أتجعل فيها من يُفسد فيها﴾ الآية .

تكتمـون : تبطنون وتخفون يريد ما أضمره إبليس من مخالفة أمر الله تعالى وعدم طاعته .

الحكيــم [3] : الحكيم الذى يضع كل شىء فى موضعه ، ولا يفعل ولا يترك الا لحكمة .

معنى الآيات :

يخبر تعالى فى معرض مظاهر قدرته وعلمه وحكمته الموجبة لعبادته دون سواه أنه علم آدم اسماء الموجودات [4] كلها ، ثم عرض الموجودات على الملائكة وقال أنبؤني بأسماء هؤلاء إن

---

(١) هل آدم مشتق من الأدمة التي هي حمرة تضرب إلى بياض ، أو هو اسم جامد أعجمي كآزر ، وعابر ذهب إلى كل وجه قوم .

(٢) سبحان : اسم مصدر فعله سبّح مضعفاً . واختص بتنزيه الله تعالى فكان بذلك اسم تسبيح كالعلم عليه .

(٣) الحكيم : ذو الحكمة ، وهو الذي لا يصدر عنه قول ولا فعل خال من حكمة اقتضته . والحكيم مشتق من أحكم الشيء إذا أتقنه وخلصه من الخلل والفساد ، ومنه حكمة الدّابة وهي حديدة تجعل في فمها تمنعها من اختلاف سيرها ويقال : أحكم فلانا أي أمنعه من فعل كذا ومنه قول الشاعر :

أبني حنيفة احكموا سفهاءكم   إني أخاف عليكم أن أغضبا

(٤) ليس فى المسألة ما يدعو الى الاستغراب أو الإنكار إذ كتاب المقادير فيه أسماء الموجودات كلها ، وكذا سائر صفاتها وأحوالها ، والعرض التلفازى اليوم يسهل على المرء إدراك كيفية عرض الله تعالى الموجودات امام الملائكة . وذكر آدم لاسمائها كما علمها بتعليم الله تعالى له .

كنتم صادقين فى دعوى أنكم أكرم المخلوقات وأعلمهم فعجزوا وأعْلَنُوا اعْتِرَافَهُم بذلك وقالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا ثم قال تعالى لآدم أنبئهم بأسماء تلك المخلوقات المعروضة فأنبأهم بأسمائهم واحداً واحداً حتى القصعة والقُصَيْعة. . وهنا ظهر شرف آدم عليهم، وَعَتَبَ عليهم ربهم بقوله: ﴿ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾.

هداية الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان قدرة الله تعالى حيث علم آدم أسماء المخلوقات كلها فعلمها.

٢ـ شرف العلم وفضل العالم[١] على الجاهل.

٣ـ فضيلة الاعتراف[٢] بالعجز والقصور.

٤ـ جواز العتاب على من ادعى دعوى هو غير متأهل لها.

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ[٣] ﴿٣٤﴾

شـرح الكلمات :

اســـجدوا: السجود[٤] هو وضع الجبهة والأنف على الأرض، وقد يكون بانحناء الرأس دون وضعه على الأرض لكن مع تذلل وخضوع.

إبليـس : قيل كان اسمه الحارث ولما تكبر عن طاعة الله أبلسه الله أى أيأسه من كل خير ومسخه شيطاناً

أبـــى : امتنع ورفض السجود لآدم.

---

(١) يشهد لهذا حديث أبي داود إذ فيه: وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم.

(٢) دل على هذا قولهم: لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا ولذا قال العلماء: الواجب على من سئل على ما لا يعلم أن يقول: الله أعلم، وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال: ما أبردها على الكبد!! فقيل له: وما ذاك؟ فقال: أن يسأل الرجل عمّا لا يعلم فيقول: الله أعلم.

(٣) ذكر القرطبي في تفسيره: أن السجود الذي أُمرت به الملائكة هو أن يسجدوا لله تعالى مستقبلين وجه آدم وعليه فهو كصلاتنا خلف المقام، الصلاة لله والاستقبال للمقام.

(٤) أجمع أهل الإسلام قاطبة أن السجود لا يكون إلاّ لله تعالى. وفي الحديث: لا ينبغي أن يسجد لأحد إلاّ لله ربّ العالمين.

اســـتكبر : تعاظم فى نفسه فمنعه الاستكبار[1] والحسد من الطاعة بالسجود لآدم .

الكافريــن : جمع كافر. من كذب بالله تعالى أو كذب بشىء من آياته أوبواحد من رسله أو أنكر طاعته .

معنى الآية :

يذكّر تعالى عبادَه بعلمه وحكمته وإفضاله عليهم بقوله: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم . . . ﴾ سجود تحية وإكرام فسجدوا إلا إبليس تعاظم فى نفسه وامتنع عن السجود الذى هو طاعـة الله ، وتحية آدم. تكبراً وحسداً لآدم فى شرفه فكان بامتناعه عن طاعة الله من الكافرين الفاسقين عن أمر الله،الأمر الذى استوجب ابلاسه[2] وطرده .

هـداية الآيـة :

من هداية الآية :

١ـ التذكير بإفضال الله الأمر الذى يوجب الشكر ويرغب فيه .

٢ـ التحذير من الكبر والحسد حيث كانا سبب ابلاس الشيطان ،وامتناع اليهود من قبول الاسلام .

٣ـ تقرير عداوة ابليس ، والتنبيه الى انه عدوّ تجب عداوته أبداً .

٤ـ التنبيه الى أن من المعاصى ما يكون[3] كفراً أو يقود الى الكفر .

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ[4] أَنتَ وَزَوْجُكَ[5] ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا

---

(٥) الاستكبار: طلب الكِبْر في النفس وتصوره فيها وفي صحيح مسلم: (إنّ الله لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر).

(١) الإبلاس: الإيئاس من كل خير، وإبلاس إبليس كان عقوبة له على كفره وكبره وحسده، وكان قبل إبلاسه يقال له: عزازيل وبالعربية الحارث.

(٢) كترك الصلاة وقتل المؤمن لقول الرسول ﷺ: «من ترك الصلاة فقد كفر» وقوله «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقوله «لا ترتدوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض». والكفر كفران: كفر مخرج من الملة وكفر نعمة لا يخرج منها ولكن صاحبه إن لم يتب منه وتقبل توبته يدخل النار به.

(٣) قال: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ بعد طرد إبليس منها والمراد من السكن الإسكان وهو الإقامة الطويلة لا السكون النفسي، وهدوء البال وإن كان لازما للإقامة الطيبة ولفظ السكن مشعر بعدم الإقامة الدائمة ، لأن من سكن دارا لابد وأن يرحل منها يوماً من الأيام.

(٤) لفظ الزوج يطلق على كل من الرجل وامرأته، لأن كل واحد منهما صيّر الثاني زوجاً له، ويقال للمرأة زوجة بالتاء كما في قول الرسول ﷺ: «يافلان هذه زوجتي فلانة»، وذلك أمنا من اللّبس، وغلّط الفرزدق في قوله:

وإنّ الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع إلى أسد الشرى يستبيلها

ولا معنى لتغليطه وقد صح الحديث بلفظ زوجة.

حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا[1] فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟
بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ[2] ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

شـــرح الكلمـــات :

رغـــداً : العيش الهنيّ الواسع يقال له الرَّغَد.

الشجـــــرة : شجرة من أشجار الجنة وجائز أن تكون كرماً أو تيناً أو غيرهما ومادام الله تعالى لم يعين نوعها فلا ينبغي السؤال عنها.

الظالميـــن : لأنفسهما بارتكاب ما نهى الله تعالى عنه.

فأزلهمـــا : أوقعهما في الزلل، وهو مخالفتهما لنهي الله تعالى لهما عن الأكل من الشجرة

مســـتقـــر : المستقر: مكان الاستقرار والاقامة.

إلى حـــين : الحين: الوقت مطلقا قد يقصر أو يطول والمراد به نهاية الحياة.

فتلقى[3] آدم : أخذ آدم ما ألقى الله تعالى إليه من كلمات التوبة.

كلمـــات : هي قوله تعالى: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾.

فتاب عليـــه : وفقه للتوبة فتاب[4] وقبل توبته، لأنه تعالى تواب رحيم.

---

(١) عن هنا هي كما في قوله تعالى: ﴿لا عن موعدة﴾ بمعنى بسببها أي أوقعهما في الزلل بسبب الأكل من الشجرة التي زينها لهما فضمير عنها عائد إلى الشجرة.

(٢) جملة: (بعضكم لبعض عدو) تصح أن تكون حالا من ضمير (اهبطوا) ويصح أن تكون مستأنفة استئنافاً ابتدائياً.

(٣) لفظ (فتلقى) مشعر بالإكرام، والمسرة كقوله تعالى ﴿تتلقاهم الملائكة﴾.

(٤) يتساءل البعض. هل آدم ارتكب بأكله من الشجرة كبيرة، وهل يجوز في حق الأنبياء ارتكاب الكبائر؟؟
والجواب: أن آدم ما نبيء إلا بعد أن هبط إلى الأرض، إذ هي دار التكليف أما وهو في السماء فما كان قد نبيء بعد وأكله من الشجرة لم يترتب عليه عقاب أكثر من الخروج من الجنة لأنها ليست دار إقامة لمن يخالف فيها أمر الله تعالى، أما الأنبياء فلا يجوز في حقهم ارتكاب الكبائر ولا الصغائر لعصمة الله تعالى لهم لأنهم محل أسوة لغيرهم.

معنى الآيات :

فى الآية الأولى (٣٥) يخبر تعالى عن إكرامه لآدم وزوجه حواء حيث أباح لهما جنته يسكنانها ويأكلان من نعيمها ما شاءا إلا شجرة واحدة فقدنهاهما عن قربها[1] والأكل من ثمرها حتى لا يكونا من الظالمين.

وفى الآية الثانية (٣٦) اخبر تعالى أن الشيطان أوقع آدم وزوجه فى الخطيئة حيث زين لهما الأكل من الشجرة فأكلا منها فبدت لهما سَوْءَاتُهُما فلم يصبحا أهلا للبقاء فى الجنة فأهبطا الى الأرض مع عدوهما إبليس ليعيشوا بها بعضهم لبعض عدو إلى نهاية الحياة.

وفى الآية الثالثة (٣٧) يخبر تعالى أن آدم تلقى كلمات التوبة من ربه تعالى وهى : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ فقالاها توبة فتاب الله عليهما وهو التواب الرحيم.

هداية الآية :

من هداية الآية :

١- كرامة آدم وذريته على ربهم تعالى.

٢- شؤم المعصية وآثارها فى تحويل النعمة إلى نقمة.

٣- عداوة الشيطان للإنسان ووجوب معرفة ذلك لاتقاء وسوسته.

٤- وجوب التوبة[2] من الذنب وهى الاستغفار بعد الاعتراف بالذنب وتركه والندم على فعله.

قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

---

(١) إذا كان الفعل قرب يقرب بالفتح فمعناه التلبّس بالفعل، وإذا كان قرُب بضمّ الرّاء فمعناه الدنوّ من الشيء. هكذا يرى بعضهم.

(٢) التوبة: هي الرجوع من المخالفة إلى المتابعة أي من المعصية إلى الطاعة هذا حدّها لغة. أمّا شرعا: فهي كما نُصّ في الفائدة الرابعة من هذا التفسير.

شـــرح الكلمـات :

اهبطوا منها جميعا : إنزلوا من الجنة[1] الى الأرض لتعيشوا فيها متعادين.[2]

فإما يأتينكم[3] مني هدى : إن يجئكم من ربكـم هدىً: شرع ضمنه كِتابٌ وبينه رسولٌ.

فمن اتبع هــداى : أخذ[4] بشرعي فلم يخالفه ولم يحد عنه.

فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون : جواب شرط فمن اتبـع هداى، ومعنـاه إتباع الهدى يفضي بالعبد الى ان لا يخاف ولا يحزن لا فى الدنيا ولا فى الآخرة.

كفروا وكذبوا : كفروا: جحدوا شرع الله، وكذبوا رسوله

أصحاب النار : أهلها الذين لا يفارقونها بحيث لا يخرجون منها

معنى الآيتين :

يخبر تعالى أنه أمر آدم وحواء[5] وإبليس بالهبوط إلى الأرض بعد أن وسوس الشيطان لهما فأكلا من الشجرة، وأعلمهم أنه إن أتاهم منه هدى فاتبعوه ولم يحيدوا عنه يأمنوا ويسعدوا فلن يخافوا ولن يحزنوا، وتوعد من كفر به وكذب رسوله فلم يؤمن ولم يعمل صالحاً بالخلود[6] فى النار.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ المعصية تسبب الشقاء والحرمان.

---

(١) ذهب المعتزلة ـ أذهب الله ريحهم ـ إلى أن الجنة التي هبط منها آدم وحواء كانت بستاناً في الأرض في مرتفع منها. وهو قول باطل لا يسمع له ولا يلتفت إليه، إذ كل سياق القرآن دال على أنها الجنة دار النعيم لأولياء الله في الآخرة.

(٢) أي: ابليس وذريته، وآدم وذريته، وكان هذا قبل أن يوجد لكل منهما ذرية ثم أوجدت كما أخبر تعالى وكانت العداوة على أشدها.

(٣) فإمّا: أصلها فإن ما، فإن شرطية وأدخلت عليها ما الزائدة لتقوية الكلام وأدغمت فيها نون إن فصارت إمّا.

(٤) هذا عام في كل أجيال بني آدم فمن جاءه هدى الله بواسطة نبي وكتاب الله فأخذ به واتبعه نجا مما يصيب غيره من الخوف والحزن في الدنيا والآخرة معاً.

(٥) حواء: لم تذكر باسمها في القرآن وإنما ذكرت بعنوان الزوج، ولكن ذكرت في السنة الصحيحة، أنها خلقت من ضلع آدم عليه السلام، والسرّ في عدم ذكرها باسمها: أن المروءة تأبى على صاحبها ذكر المرأة باسمها فلذا تذكر النساء تابعات لخطاب الرجال.

(٦) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن أقوام أصابتهم النار بخطاياهم فأصابتهم إماتة حتى إذا صاروا فحماً أذن في الشفاعة» ومعناه يخرجون من النار بالشفاعة لهم.

٢ـ العمل بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ يسبب الأمن والإسعاد، والإعراض عنهما يسبب الخوف والحزن والشقاء والحرمان.

٣ـ الكفر والتكذيب جزاء صاحبهما الخلود في النار.

يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ
أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ
مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي
ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ
وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ
ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾

شرح الكلمات :

بنو[1] إسرائيل : اسرائيل هو يعقوب بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وبنوه هم اليهود، لأنهم يعودون في أصولهم الى أولاد يعقوب الأثنى عشر.[2]

النعمة : النعمة هنا اسم جنس بمعنى النعم، ونعم الله تعالى على بني اسرائيل كثيرة[3] ستمر أفرادها في الآيات القرآنية الآتية.

أوفوا بعهدي : الوفاء بالعهد اتمامه وعهد الله عليهم أن يبينوا أمر محمد ﷺ ويؤمنوا به.

أوف بعهدكم : أتم لكم عهدكم بإدخالكم الجنة بعد إكرامكم في الدنيا وعزكم فيها.

وإياي فارهبون : اخشوني ولا تخشوا غيري.

آمنوا بما أنزلت : القرآن الكريم

ولا تشتروا[4] بآياتي : لا تعتاضوا عن بيان الحق في أمر محمد ﷺ.

---

(١) بنو جمع ابن وقيل عن الولد ابن من البناء، لأنه مسند إليه موضوع عليه. واسرا: عبد وئيل: الله وقرىء اسرائين بالنون وهي لغة مشهورة.

(٢) هم يوسف عليه السلام واخوته يهوذا، وبن يامين وغيرهما.

(٣) منها انجاؤهم من فرعون، وتحررهم من سلطانه، ومنها إهلاك عدوهم، وانزال المنّ والسلوى عليهم.

(٤) الاشتراء هنا: بمعنى الاستبدال، ولذا جاز دخول الباء على غير المشترى به وهو الثمن، إذ الأصل أن تدخل الباء على المشترى به. فتقول، اشتريت الثوب بدرهم.

ثمناً قليـلا : متاع الحياة الدنيا.

وإياى فاتقـون : واتقونى وحدى فى كتمانكم الحق وجحدكم نبوة نبيي محمد ﷺ أن أنزل بكم نقمتي.

ولا تلبسوا الحق بالباطل : أى لا تخلطوا الحق بالباطل حتى يعلم فيعمل به، وذلك قولهم: محمد نبيّ ولكن مبعوث إلى العرب لا إلى بنى إسرائيل.

واركعوا مع الراكعين : الركوع الشرعى: انحناء الظهر فى امتداد واعتدال مع وضع الكفين على الركبتين والمراد به هنا: الخضوع[1] لله والإسلام له عز وجل.

مناسبة الآيات ومعناها:

لما كان السياق في الآيات السابقة في شأن آدم وتكريمه، وسجود الملائكة له وامتناع إبليس لكِبْره. وحسده وكان هذا معلوماً لليهود لأنهم أهل كتاب ناسب أن يخاطب الله تعالى بني إسرائيل مذكراً إياهم بما يجب عليهم من الإيمان والاستقامة. فناداهم بعنوان بُنوتهم لإسرائيل عليه السلام فأمرهم ونهاهم، أمرهم بذكر نعمته عليهم ليشكروه تعالى بطاعته فيؤمنوا برسوله محمد ﷺ وما جاء به من الهدى وأمرهم بالوفاء بما أخذ عليهم من عهد لينجز لهم ما وعدهم، وأمرهم أن يرهبوه[2] ولايرهبوا غيره من خلقه وأمرهم أن يؤمنوا بالقرآن الكريم، وان لا يكونوا أول من يكفر[3] به. ونهاهم عن الاعتياض عن بيان الحق في أمر الإيمان برسوله محمد ﷺ ثمناً قليلا من متاع الحياة الدنيا وأمرهم بتقواه فى ذلك وحذرهم ان هم كتموا الحق ان ينزل بهم عذابه. ونهاهم عن خلط الحق بالباطل دفعاً للحق وبعدا عنه حتى لا يؤمنوا برسوله محمد ﷺ وأمرهم بإقام[4] الصلاة وايتاء الزكاة والاذعان لله تعالى بقبول الاسلام والدخول فيه كسائر المسلمين.

---

(١) وجائز أن يراد به الصلاة مع المصلين وهم الرسول وأصحابه إذ الخطاب ليهود المدينة بصورة خاصة، ولا منافاة بين ما شرحت به الآية، وبين ما ذكر هنا تعليقاً، إذ الإسلام لله يستلزم الصلاة وفي الآية دليل تأكيد صلاة الجماعة.

(٢) الرهب، والرهبة الخوف، ويجوز في الرهب اسكان الهاء وفتحها.

(٣) هذه الجملة تأكيد لجملة وآمنوا بما أنزلت.. أي: آمنوا بما أنزلت أي، من القرآن بمعنى لا تكونوا أول من يكفر به منكم يا بني اسرائيل، إذ العرب سبق أن كفروا بالقرآن قبلهم فأوّل كافر به أي منهم وهو اليهود.

(٤) أمرهم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة بعد الإيمان كقوله ﷺ: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا إله إلاّ الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة..» الحديث. ومعنى الخطاب أنه أمرهم بالدخول في الإسلام والخروج من اليهودية الباطلة.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ وجوب ذكر النعم لشكر الله تعالى عليها.

٢ـ وجوب الوفاء بالعهد لاسيما ما عاهد عليه العبد ربه تعالى

٣ـ وجوب بيان الحق وحُرمة كتمانه.

٤ـ حرمة خلط[1] الحق بالباطل تضليلا للناس وصرفهم عنه كقول اليهود: محمد نبيّ ولكن للعرب خاصة حتى لايؤمن به يهود.

﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ
وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ
﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾

شرح الكلمات :

البــــر : البر لفظ جامع لكل خير. والمراد هنا: الايمان بمحمد ﷺ والدخول فى الاسلام

النســــيان : مقابل الذكر، وهو هنا الترك.

تلاوة الكتاب : قراءته، والكتاب هنا التوراه التى بأيدى اليهود

العقــــل : قوة باطنية يميز بها المرء بين النافع والضار، والصالح والفاسد

الاستعانــة : طلب العون للقدرة على القول والعمل

الصبــــر[2] : حبس النفس على ما تكره

الخشــوع : حضور القلب وسكون الجوارح، والمراد هنا الخضوع لله والطاعة لأمره ونهيه.

---

(١) مأخوذ من قوله (ولا تلبسوا الحق بالباطل)؛ إذ اللّبس الخلط بين المتشابهات في الصفات يقال في الأمر لُبْسَة: أي اشتباه، فلبس الحق بالباطل ترويج الباطل في صورة الحق ليقبل ويضل به الناس.

(٢) موطن الصبر ثلاثة: صبر على الطاعة فلا تفارق، وصبر عن المعصية فلا ترتكب، وصبر على المصائب فلا يجزع منها ولا يتسخط. ولكن يصبر، ويسترجع أي: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

يظنـــون : يوقـــنـــون[١]

ملاقـوا ربهم : بالموت، راجعون إليه يوم القيامة.

معنى الآيتين :

ينعى الحق تبارك وتعالى فى الآية الأولى (٤٤) على علماء بنى اسرائيل أمرهم بعض العرب بالإيمان بالإسلام ونبيه، ويتركون أنفسهم فلا يأمرونها بذلك والحال أنهم يقرأون التوراة، وفيها بعث النبى محمد والأمر بالإيمان به واتباعه ويقرعهم موبخاً لهم بقوله: أفلا تعقلون، إذ العاقل يسبق الى الخير ثم يدعو إليه.

وفى الآيتين الثانية والثالثة (٤٥-٤٦) يرشد الله تعالى بنى اسرائيل الى الاستعانة بالصبر والصلاة حتى يقدروا على مواجهة الحقيقة والتصريح بها وهى الإيمان بمحمد والدخول فى دينه، ثم يعلمهم أن هذه المواجهة صعبة شاقة[٢] على النفس لا يقدر عليها الا المخبتون لربهم الموقنون بلقاء الله، والرجوع إليه.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١- قبح[٣] سلوك من يأمر غيره بالخير ولا يفعله.

٢- السيئة قبيحة وكونها من[٤] عالم أشد قبحا.

٣- مشروعية الاستعانة على صعاب الأمور وشاقها بالصبر والصلاة، إذ كان النبى ﷺ إذا حز به أمر فزع[٥] الى الصلاة.

---

(١) يطلق الظن ويراد به اليقين، لا الظن المقابل للشك، أفاده ابن جرير في تفسيره وأورد أنّ الظن من أسماء الأضداد فيطلق على الشك واليقين كإطلاق السدفة على الضياء والظلمة معاً.

(٢) الجمهور على تفسير الضمير في ﴿وإنها لكبيرة﴾ بالصلاة وخالَفْتُهُم في ذلك لوجود من قال: إنّها ما أمروا به ونهوا عنه وهو أعم من الصلاة

(٣) ورد الوعيد الشديد فيمن يأمر بالمعروف ولا يفعله وينهى عن المنكر ويرتكبه من ذلك قول الرسول ﷺ «مررت ليلة أُسري بي على ناس تقرض شفاههم وألسنتهم بمقاريض من نار قلت من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء خطباء أمتك يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم» رواه أحمد. ومثله كثير في السنن والصحاح، إلا أن أهل العلم من السلف قالوا: لا يمنع العالم من أن يأمر بالمعروف، وإن كان لا يأتيه ومن أن ينهي عن منكر وإن كان يأتيه، وهو حق إذ لا يسلم من الذنب إلاّ المعصوم».

(٤) لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم.

(٥) رواه أحمد وأبو داود

٤- فضلية الخشوع لله والتطامن لـه، وذكر الموت، والرجوع إلى الله تعالى للحساب والجزاء.

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

شـرح الكلمـــات :

يا بنى اسرائيل : تقدم شرح هذه الجملة

فضلتكم على العالمين[١] : آتاهم من النعم الدينية والدنيوية ما لم يؤت غيرهم من الناس وذلك على عهد موسى عليه السلام وفى أزمنة صلاحهم واستقامتهم.

اتقوا يومـــاً : المراد باليوم يوم القيامة بدليل ما وصف به. واتقاؤه هو اتقاء ما يقع فيه من الاهوال والعذاب. وذلك بالايمان والعمل[٢] الصالح.

لا تجزى نفـس : لا تغنى نفس عن نفس أخرى أى غنىً. ما دامت كافرة.[٣]

ولا يقبل منها شفاعة[٥] : هذه النفس الكافرة اذ هى التى لا تنفعها شفاعة الشافعين

ولا يؤخذ منها عدل : على فرض أنها تقدَّمت بِعَدْلٍ وهو الفداء فإنه لا يؤخذ منها

ولا هم ينصـرون : بدفع الـعـذاب عنهـم

معنى الآيتين :

ينادى الله سبحانه وتعالى بنى إسرائيل مطالباً إياهم بذكر نعمه عليهم ليشكروها بالإيمان برسوله محمد ﷺ وقبول ما جاء به من الدين الحق وهو الإسلام، محذراً إياهم من عذاب يوم القيامة، آمراً لهم باتقائه بالايمان وصالح الأعمال. لأنه يوم عظيم لا تقبل فيه شفاعة

---

(١) المراد بالعالمين: عالمو زمانهم.

(٢) وترك الشرك، والمعاصي.

(٣) لأن أهل الإيمان والتوحيد وإن دخلوا النار يخرجون منها بشفاعة شافع أو بإيمانهم. بخلاف من مات كافراً أو مشركا.

(٤) الشفاعة: ضم جاه إلى جاه ليحصل النفع للمشفوع له. والشفعة: ضمّ مِلك إلى مِلك، والشفع: الزوج مقابل الوتر. ولا تقبل شفاعة أحد يوم القيامة إلاّ بشرطين اثنين. الأول: أن يكون الشافع قد أذن الله تعالى له. في الشفاعة. والثاني: أن يكون المشفوع له ممن رضي الله قوله وعمله وهو المؤمن الموحد.

لِكَافِرٍ، ولا يؤخذ منه عدل أي فداء، ولا ينصره بدفع العذاب عَنْهُ أحد.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ وجوب ذكر النعم لتشكر[١] بحمد الله وطاعته.

٢ـ وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالايمان والعمل الصالح بعد ترك الشرك والمعاصى

٣ـ تقرير أن الشفاعة لا تكون لنفس كافرة. وأنّ الفداء يوم القيامة لا يقبل[٢] أبدا

وَإِذْ[٣] نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ
يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ
وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ
أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ
﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾
وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾

شـرح الكلمـات :

النجـــاة : الخلاص من الهلكة، كالخلاص من الغرق. والخلاص من العذاب.

آل فرعـــون : أتباع فرعون[٤]. وفرعون[٥] ملك مصر على عهد موسى عليه السلام

يسومونكم سوء العذاب : يبغونكم سوء العذاب وهو أشده وأفظعه ويذيقونكم إياه

---

(١) شكر الله على نِعَمِه يكون بالاعتراف بالنعمة وحمدا لله تعالى عليها، وصرفها فيما فيه رضاه سبحانه وتعالى.

(٢) لقوله تعالى: ﴿إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به﴾.

(٣) إذ ظرفية ويقدر لها العامل وهو اذكروا إذ نجيناكم. اذكروا إذ فرقنا بكم البحر.. الخ.

(٤) ممن هم على دين الباطل، من الأقباط المصريين وسواء كانوا أقارب له أم أباعد ويشهد له حديث: «آل محمد كل تقي».

(٥) قيل إن فرعون مصر اسمه الوليد بن مصعب بن الرّيّان.

يستحيُون[1] نسـاءكم : يتركـون ذبح البنات ليكبرن للخدمة، ويذبحون الأولاد خوفاً منهم إذا كبروا

بـلاءٌ[2] عظيـــم : ابتلاء وامتحان شديد لا يطاق

فرقنا[3] بكم البحر[4] : صيرناه فرقتين، ومابَيْنَهُمَايَبس لا ماء فيه لتسلكوه فتنجوا والبحر هو بحر القلزم (الأحمر)

اتخذتم العجــل : عجل من ذهب صاغه لهم السامرى ودعاهم الى عبادته فعبده أكثرهم، وذلك فى غيبة موسى عنهم

الشـــــكر : اظهار النعمة بالاعتراف بها وحمد الله تعالى عليها وصرفها فى مرضاته

الكتاب والفرقان[5] : الكتاب: التوراه، والفرقان: المعجزات التى فرق الله تعالى بها بين الحق والباطل

تـهتـــــدون : إلى معرفة الحق فى كل شئونكم من أمور الدين والدنيا.

معنى الآيــات :

تضمنت هذه الآيات الخمس أربع نعم عظمى انعم الله تعالى بها على بنى اسرائيل وهى التى امرهم بذكرها ليشكروه عليها بالايمان برسوله محمد ﷺ ودينه الاسلام.

فالنعمة الأولى : انجاؤهم من فرعون وآله بتخليصهم من حكمهم الظالم وما كانوا يصبونه عليهم من ألوان العذاب، من ذلك: ذبح الذكور من أولادهم وترك البنات لاستخدامهن فى المنازل كرقيقات.

---

(١) وقيل يكشفون عن حياء المرأة أي: فرجها لينظروا هل هى حبلى أو لا؟ ليتمكنُوا من قتل الذكور وإبقاء الإناث.

(٢) البلاء يكون بالخير والشر قال تعالى ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ الآية. وهو هنا كذلك فقد ابتلى بنو اسرائيل بالشر من قتل واستعباد وبالخير من انجائهم وإهلاك اعدائهم.

(٣) الفرق: الفصل بين الأشياء كالفصل بين الحق والباطل والفصل بين المجتمعين من كل شيء والباء في فرقنا بكم البحر للملابسة.

(٤) البحر: الماء الملح، والبلدة أيضاً، ومن الخيل الواسع الجري فقد قال ﷺ في فرس أبي طلحة (وإن وجدناه لبحراً) يعني واسع الجري.

(٥) الفرقان: لفظ عام يطلق على كل ما يفرق به بين الحق والباطل كالمعجزات والآيات والعلوم الصحيحة.

والثانيـة : فلق البحر لهم وإغراق عدوهم بعد نجاتهم وهم ينظرون.[1]

والثالثـة : عفوه تعالى عن أكبر زلة زلوها وجريمة اقترفوها وهى اتخاذهم عجلاً[2] صناعياً الهاً وعبادتهم له. فعفا تعالى عنهم ولم يؤاخذهم بالعذاب لعلة أن يشكروه تعالى بعبادته وحده دون سواه.

والرابعـة : ما أكرم به نبيهم موسى عليه السلام من التوراة التى فيها الهدى والنور والمعجـزات التى أبطلت باطل فرعون، وأحقت دعوة الحق التى جاء بها موسى عليه السلام.

هذه النعم هى محتوى الآيات الخمس، ومعرفتها معرفة لمعانى الآيات فى الجملة اللهم الا جملة [وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم] فى الآية الأولى فانها: اخبار بأن الذى حصل لبنى اسرائيل من عذاب على أيدى فرعون وملئه انما كان امتحاناً من الله واختباراً عظيما لهم. كما أن الآية الثالثة فيها ذكر مواعدة الله تعالى لموسى بعد نجاة[3] بنى اسرائيل أربعين ليلة وهى القعدة وعشر الحجة ليعطيه التوراه يحكم[4] بها بنى اسرائيل فحدث فى غيابه ان جمع السـامرى حلى نساء بني إسرائيل وصنع منه عجلاً ودعاهم الى عبادته فعبدوه فاستوجبوا العذاب إلا أن الله منّ عليهم بالعفو ليشكروه.

هدايـة الآيـات :

من هداية هذه الآيات :

١ـ ذكر النعم يحمل[5] على شكرها، والشكر هو الغاية من ذكر النعمة.

٢ـ أن الله تعالى يبتلى عباده لحكم عالية فلا يجوز الاعتراض على الله تعالى فيما يبتلى به عباده

٣ـ الشرك ظلم[6] لأنه وضع العبادة فى غير موضعها.

(١) جملة: ﴿وأنتم تنظرون﴾ في الآيات حالية وإن قيل الذين تمّ لهم هذا الانعام هم من كانوا مع موسى عليه السلام فكيف يخاطب به يهود اليوم فالجواب: أنّ النعم على السلف نعم على الخلف.

(٢) القوم الذين مروا بهم فوجدوهم عاكفين على أصنام لهم هم قوم من الكنعانيين وهم الفينيقيون سكان سواحل بلاد الشام إذ كانوا يعبدون عجلا مقدّساً لهم.

(٣) كان يوم نجاة بني اسرائيل يوم عاشوراء المحرم لما في البخاري وغيره من أنّ النبي ﷺ لما قدم المدينة مهاجراً وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسألهم عن ذلك فقالوا: يوم صالح أنجى الله تعالى فيه بني اسرائيل. فصامه. رسول الله ﷺ وأمر بصيامه وقال: «نحن أحق بموسى منهم» أو كما قال.

(٤) ومما يؤسف ويحزن أن المسلمين لما ابتلاهم الله باستعمار النصارى لهم كانوا كلما استقل شعب أو إقليم طلب قانون الكافرين فحكم به المسلمين، وبنوا اسرائيل لما استقلوا على يد موسى ذهب يأتيهم بقانون الربّ ليحكمهم به.

(٥) ولذا كان مبدأ الشكر: الاعتراف بالنعمة أوّلا، وهو ذكرها بالقلب، واللسان.

(٦) قال تعالى: ﴿وإنّ الشرك لظلم عظيم﴾.

٤- إرسال الرسل وإنزال الكتب الحكمة فيهما هداية الناس إلى معرفة ربهم وطريقة التقرب إليه ليعبدوه فيكملوا ويسعدوا فى الحياتين.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ[1] يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم
بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ
﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً
فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ
بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ
ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا
رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾

شرح الكلمات

ظلم النفس[2] : تدسيتها بسّيئة الجريمة

باتخاذكم العجل : بجعلكم العجل الذى صاغه السامرى من حلّى نسائكم إلهاً عبدتموه

البارىء : الخالق عز وجل

فاقتلوا انفسكم[3] : أمرهم أن يقتل من لم يعبد العجل من[4] عبدَه منهم وجعل ذلك توبتهم ففعلوا فتاب عليهم بقبول توبتهم

نرى الله جهرة[5] : نراه عياناً

---

(١) لفظ القوم يراد به الرجال دون النساء كما في قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم.. ولا نساء من نساء﴾ وكقول زهير:
وما أدري وسوف إخال أدري　　أقوم آل حصن ام نساء
وقد يطلق على الرجال والنساء نحو قوله تعالى ﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ الآية.

(٢) أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه، ومرتكب الذنب بدل أن يزكي نفسه بعمل صالح دسّاها بعمل سيء فكان بذلك واضعاً شيئاً في غير موضعه، إذ المطلوب من العبد تزكية نفسه لتتأهل للكمال والإسعاد، لا تدسيتها لتخيب وتخسر.

(٣) قال بعضهم: قتل النفس هنا تذليلها بالطاعات وكفّها عن الشهوات وليس بصحيح.

(٤) قتل بعضهم بعضاً كان عقوبة لمن عبدوا العجل، ولمن لم يعبدوه، لأنهم ما غيّروا المنكر وقد رأوه.

(٥) أصل الجهر: الظهور ومنه قرأ جهراً أي أظهر القراءة، وجهرة مصدر جهر، وقرىء بفتح الهاء واسكانها نحو زهَرة، وزهْرة ومعناه علانية أو عياناً.

الصاعقــــة	:	نار محرقة كالتى تكون مع السحب والأمطار والرعود
بعثناكـــم	:	أحييناكـم[1] بعد موتكـم
الغمـــام	:	سـحاب رقيـق أبيض
المن والسـلوى	:	المنّ : مادة لزجة حُلْوَةٌ كالعسل[2]، والسلوى : طائر يقال له السُّمانى
الطيبـــات	:	الحـــلال

المناسبة ومعنى الآيات :

لما ذكّر الله تعالى اليهود بما أنعم على أسلافهم مطالباً إياهم بشكرها فيؤمنوا برسوله. ذكـرهم هنا ببعض ذنوب اسلافهم ليتعظوا فيؤمنوا فذكرهم بحادثة اتخاذهم العجل إلهاً وعبـادتهم له. وذلك بعد نجاتهم من آل فرعون وذهاب موسى لمناجاة الله تعالى، وتركه هارون خليفة له فيهم، فصنع السامرى لهم عجلاً من ذهب وقال لهم هذا إلهكم وإله موسى فاعبدوه فأطاعه أكثرهم وعبدوا العجل فكانوا مرتدين بذلك فجعل الله توبتهم من ردتهم ان يقتل من لم يعبد العجل من عبده فقتلوا منهم سبعين الفاً فكان ذلك توبتهم فتاب الله عليهم انه هو التواب الرحيم كما ذكرهم بحادثة أخرى وهى انه لما عبدوا العجل وكانت ردة اختار موسى بامر الله تعالى منهم سبعين رجلاً من خيارهم ممن لم يتورطوا فى جريمة عبادة العجل، وذهب بهم الى جبل الطور ليعتذروا الى ربهم سبحانه وتعالى من عبادة إخوانهم العجل فلما وصلوا قالوا لموسى اطلب لنا ربك أن يُسمعنا كلامه فأسمعهم قوله : إنى أنا الله لا إله إلا أنا أخرجتكم من أرض مصر بيدٍ شديدة فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى. ولما أعلمهم موسى بأن الله تعالى جعل توبتهم بقتلهم أنفسهم، قالوا : لن نؤمن لك أى لن نتابعك على قولك فيما ذكرت من توبتنا بقتل بعضنا بعضا حتى نرى الله جهرة وكان هذا منهم ذنباً عظيماً لتكذيبهم رسولهم فغضب الله عليهم فأنزل عليهم صاعقة فأهلكتهم فماتوا واحدا واحدا وهم ينظرون ثم أحياهم تعالى بعد يوم وليلة، وذلك ليشكروه بعبادته وحده دون سواه كما ذكـرهم بنعمة أخرى وهى اكرامه لهم وانعامه عليهم بتظليل الغمام عليهم، وإنزال المنّ

---

(١) إحياؤهم بعد موتهم دليل على البعث الآخر، إذ كان موتهم بإخراج أرواحهم ولم يكن مجرّد همود كما قيل.

(٢) وفي الحديث الذي رواه مسلم: الكمأة من المنّ الذي أنزل الله على بني اسرائيل وماؤها شفاء للعين.

والسلوى[1] أيام حادثة التيه في صحراء سيناء وفي قوله تعالى: ﴿وما ظلمناهم﴾ إشارة الى ان محنة التيه كانت عقوبة لهم على تركهم الجهاد وجرأتهم على نبيّهم اذ قالوا له: ﴿اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون﴾. وما ظلمهم[2] في محنة التيه، ولكن كانوا هم الظالمين لأنفسهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ عبادة المؤمن غير الله وهو يعلم أنها عبادة لغير الله تعالى تعتبر ردة منه[3] وشركاً.

٢ـ مشروعية قتال المرتدين، وفي الحديث: «من بدّل دينه فاقتلوه»، ولكن بعد استتابته.

٣ـ علة الحياة كلها شكر الله تعالى[4] بعبادته وحده.

٤ـ الحلال، من المطاعم والمشارب وغيرها، ما احله الله والحرام ما حرمه الله عز وجل.

وَإِذْ[5] قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا

---

(١) السلوى: اسم جنس جمعي واحده: سلواة، وقيل لا واحد له، وهو طائر بريّ لذيذ اللّحم سهل الصيد تسوقه لهم ريح الجنوب كل مساء ويُسمى أيضاً: السماني كحبارى.

(٢) في قوله تعالى: ﴿وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ تقديم المفعول وهو أنفسهم على الفاعل وهو الضمير في يظلمون لإفادة القصر، وهو قصر ظلمهم على أنفسهم حيث لم يتجاوز إلى غيرهم لا موسى ولا ربّه تعالى.

(٣) بدليل أمر الله بني اسرائيل بأن يقتل من لم يعبد العجل من عبده لأنه في حكم المرتد، والمرتد يقتل لحديث الصحيح: «مَنْ بدّل دينه فاقتلوه».

(٤) دلّ عليه قوله تعالى: ﴿ثم بعثناكم﴾ أي أحييناكم بعد موتكم لعلكم تشكرون، وأصرح منه قوله تعالى: ﴿وما خلقت الجنّ والإنس إلّا ليعبدون﴾ والعبادة هي الشكر.

(٥) ذهب الشيخ محمد الطاهر بن عاشور صاحب تفسير «التحرير والتنوير» إلى أن القائل لبني اسرائيل: ﴿ادخلوا هذه القرية..﴾ الآية هو موسى عليه السلام وأنّ هذا الأمر كان في بداية أمرهم لمّا خرجوا من مصر، وأنّ الذين ظلموا منهم هم عشرة رجال مِنْ اثني عشر بعث بهم موسى عليه السلام جواسيس يكتشفون أمر العدو ويقدّرون قوته قبل إعلان الحرب عليهم فرجعوا وهم يهوّلون من شأن العدو وقوته وينشرون الفزع والرعب في بني اسرائيل ما عدا اثنين منهم وهما: يوشع بن نون قريب موسى، وطالب بن بقنّه الذين ذكرا في سورة المائدة: ﴿قال رجلان..﴾ الآية وخالف في هذا جمهور المفسرين وادعى الغلط لهم، وما حمله على ذلك سوى أن السياق ما زال مع موسى وقومه مع أن الله تعالى لم يذكر موسى بل قال: ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾ والرسول ﷺ في حديث البخاري قال: (قيل لبني اسرائيل) ولم يقل: قال موسى لبني اسرائيل ونص الحديث: «قيل لبني اسرائيل ادخلوا الباب سجّدا قولوا حطة يغفر لكم خطاياكم فبدّلوا وقالوا: حطة حبّة في شعرة» والأمر لهم حقيقة. هو الله تعالى على لسان يوشع، إذ هو الذي قاد الحملة ونصره الله، ودخل بيت المقدس، وأحاديث الرسول ﷺ شاهدة.

غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ (٥٩)

شرح الكلمات :

القريـــة[1] : مدينة القـــدس.

رغـــداً : عيشاً واسعاً هنيئاً

ســجّـــداً : رُكّعاً[2] متطامنين لله خاضعين شكراً لله على نجاتهم من التيه.

حِطّـــة : حِطّةٌ[3]: فِعْلَةٌ مثل ردة وحدة من رددت وحددت، أمرهم أن يقولوا حِطة بمعنى احطط عنا خطايانا ورفع (حِطةٌ)[4] على أنه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: دخولنا الباب سجداً حِطةٌ لذنوبنا.

نغفـــر : نمحـو ونستر.

خـطاياكـــم : الخطايا جمع خطيئة[5]: الذنب يقترفه العبد.

فبـــدل : غيّروا[6] القول الذى قيل لهم قوله وهو حِطة فقالوا: حبّة في شَعْرة[7].

رجـــزاً[8] : وبـــاء الطاعـــون.

يفســـقون : يخرجـون عن طاعة الله ورسوله إليهم، وهو يوشع عليه السلام.

معنـــى الآيتيـــن :

تضمنت الآية الأولى (٥٨) تذكير اليهود بحادثة عظيمة حدثت لأسلافهم تجلت فيها

---

(١) سميت المدينة قرية: من التقري الذي هو التجمع مأخوذ من قريت الماء في الحوض إذا جمعته ومنه قِرى الضيف: وهو ما يجمع له من طعام وشراب، وفراش.

(٢) لأنّ السجود الذي هو وضع الجبهة على الأرض متعذر المشي معه فلذا فُسّر السجود بانحناء الركوع في تطامن وخضوع.

(٣) يوجد باب حِطّة اليوم في المسجد الأقصى.

(٤) وقرىء حطةً بالنصب على تقدير احطط عنا ذنوبنا حِطّة.

(٥) المفروض أن تجمع خطيئة على خطائئ نحو حميلة وحمائل، ولكنهم استثقلوا الجمع بين همزتين فقلبوا الهمزة الأولى ياء والثانية ألفا فصارت خطايا.

(٦) من هذا أخذ حرمة تبديل لفظ تعبّدنا الله به بلفظ آخر ولو أدّى معناه مثل: الله أكبر في افتتاح الصلاة، والسلام عليكم في الخروج منها. وما لم يتعبّدنا الله بلفظ يجوز للعالم تبديله وذلك كرواية الحديث بالمعنى للعالم دون الجاهل، وعليه جمهور الأمّة.

(٧) (في شعرة) كنّوا بهذا عن كون فتحهم البلاد، ودخولهم إياها من المحال كالذي يحاول ربط حبّة في شعرة.

(٨) والرّجس: بالسين عذاب فيه نتن وعفونة وقذر.

نعمة الله على بنى اسرائيل وهى حال تستوجب الشكر، وذلك أنهم لما انتهت مدة التيه وكان قد مات كل من موسى وهارون وخلفهما فى بنى اسرائيل فتى موسى يوشع بن نون وغزا بهم العمالقة وفتح الله تعالى عليهم بلاد القدس أمرهم الله تعالى أمر إكرام وإنعام فقال ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغداً. واشكروا لى هذا الإنعام بان تدخلوا باب المدينة راكعين متطامنين قائلين. دخولنا الباب سجداً حطةٌ لذُنوبنا التى اقترفناها بنكولنا عن الجهاد على عهد موسى وهارون. نثبكم بمغفرة ذنوبكم ونزيد المحسنين منكم ثواباً كما تضمنت الآية الثانية (٥٩) حادثة أخرى تجلت فيها حقيقة سوء طباع اليهود وكثرة رعوناتهم وذلـك بتغييرهم الفعل الذى أمروا به والقول الذى قيل لهم فدخلوا الباب زاحفين على أستاههم قائلين: حبه فى شعيرة!! ومن ثم انتقم الله منهم فأنزل على الظالمين منهم طاعوناً أفنى منهم خلقاً كثيراً جزاء فسقهم عن أمر الله عز وجل. وكان فيها ذكر عظة لليهود لو كانوا يتعظون.

هداية الآيتيـن :

من هداية الآيتين :

١ـ تذكير الأبناء بأيام[١] الآباء للعظة والاعتبار.

٢ـ ترك الجهاد إذا وجب يسبب[٢] للامة الذل والخسران.

٣ـ التحذير من عاقبة الظلم والفسق والتمرد على أوامر الشارع.

٤ـ حرمة[٣] تأويل النصوص الشرعية للخروج بها عن مراد الشارع منها.

٥ـ فضيلة الاحسان[٤] فى القول والعمل.

---

(١) المراد بالأيام: ما وقع فيها من خير وغيره ثمرة كسبهم ونتاج أعمالهم بالطاعة لله تعالى، أو المعصية له عزّ وجلّ.

(٢) يشهد له حديث أبي داود وأحمد إذ فيه وتركوا الجهاد في سبيل الله أنزل الله بهم بلاء لا يرفعه حتى يراجعوا دينهم.

(٣) كتأويل الروافض لفظ بقرة بعائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾ وكتأويل بعض المعاصرين أن ربا البنوك ليس هو ربا الجاهلية الحرام.

(٤) المحسن: من صح عقد توحيده، وأحسن سياسة نفسه، وأقبل على أداء فرضه، وكفى المسلمين شرُّه. هكذا عرّفه بعضهم. وأقرب من هذا. المحسن: من راقب الله تعالى في نياته. ومعتقداته، وأقواله، وأفعاله فأحسن في ذلك كله ولم يسيء فيه وبذل المعروف للناس، ولم يسيء إليهم، وحسب الإحسان فضيلة أنّ الله يحب المحسنين، ومن أحبه الله أسعده وما أشقاه.

وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ
لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ
ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟
وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ
يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا
وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ
بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ
وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ
ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ
ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

شـــرح الكلمات :

استــسقى : طلب لهم من الله تعالى السقيا أى الماء للشرب وغيره

بعـصاك الحجـر : عصا موسى التى كانت معه منذ خرج من بلاد مدين. وهل هى من شجر الجنة هبط بها آدم كذا قيل والله أعلم. والحجر هو حجر مربع الشكل من نوع الكذان رخو كالمدر. وهل هو الذى فر بثوب موسى فى حادثة[1] معروفة كذا قيل او هو حجر من سائر الأحجار؟[2] الله أعلم.

(١) هذه الحادثة كما هي في الصحيح: أن موسى عليه السلام اتهمه قوم: بالأدرة: (انتفاخ في إحدى الخصيتين). فأراد الله تعالى أن يبرئه منها، فدخل موسى البحر يغتسل، ووضع ثوبه على حجر ففرَّ الحجر بالثوب فلحقه موسى فمرّ به ببني اسرائيل حتى علموا أن تهمتهم باطلة.

(٢) كون ال في الحجر لبيان الجنس وأن أي حجر يضربه موسى يتفجر منه الماء أظهر في المعجزة وأدلّ على قدرة الله تعالى.

فانفجـــرت : الانفجار: الانفلاق فانفجرت: انفلقت من العصا العيون

مشـــربـهم : موضـع شـربهم.

رزق اللـــه : ما رزق الله به العباد من سائر الأغذيـة

ولا تعثـــوا : العَثَيّ والعِثِيّ: أكبر الفساد وفعله عِثِي كرضي يعثي كيرضي وعثا يعثو كعدا يعدو.

مفســـديـن : الافساد: العمل بغير طاعة الله ورسوله فى كل مجالات الحياة.

البقـــــل : وجمعه البقون سائر أنواع الخضر كالجزر والخردل والبطاطس ونحوها.

القثـــــاء : الخيار والقثـه ونحوهما.

الفُـــــوم : الفوم: الحِنطة وقيل الثوم لذكر البصل[1] بعده.

اتستبدلـــون : الاستبدال ترك شيء وأخذ آخر بدلا عنه.

ادنـــى : اقل صلاحاً وخيريه ومنافع كاستبدال المن والسلوى بالفوم والبقل

مصـــــراً : مدينة من[2] المدن قيل لهم هذا وهم فى التيه كالتعجيز لهم والتحدى لأنهم نكلوا عن قتال الجبارين فاصيبوا بالتيه وحرموا خيرات مدينة القدس وفلسطين.

ضربت عليهم الذلة : احاطت بهم ولازمتهم الذلة وهى الصغار والاحتقار.

والمســـكنة : والمسكنة وهى الفقر والمهانة

باءوا بغضـــب : رجعوا من طول عملهم وكثرة كسبهم بغضب الله وسخطه عليهم وبئس ما رجعوا به.

ذلك بأنهـــم : ذلك اشارة الى ما أصابهم[3]. من الذلة والمسكنة والغضب وبأنهم أى بسبب كفرهم وقتلهم الأنبياء وعصيانهم، فالباء سببية.

الاعتـــداء : مجاوزة الحق الى الباطل، والمعروف إلى المنكر. والعدل الى الظلم.

---

(١) لأن ابدال التاء فاءً شائع.

(٢) هذا بناءً على صرف مصر إذ هو منون منصوب، ولو أريد به مصر التي خرجوا منها لقرىء مصر ممنوعا من الصرف للعلمية والتأنيث.

(٣) هذا عام في اليهود المعاصرين للدعوة الإسلامية، ومن قبلهم، ومن يأتي بعدهم، لأنّ التعليل كان بكفرهم بآيات الله، وقتلهم الأنبياء، ولكنّ موافق راض بهذه الجرائم، وعصيانهم واعتداؤهم ملازم لهم ما فارقهم إلى اليوم.

معنى الآيتيـــن :

يُذكرّ الله تعالى اليهود المعاصرين لنزول القرآن بالمدينة النبوية بأياديه فى أسلافهم وأيامه عز وجل فيهم وفى الآية الأولى رقم (٦٠) ذكرهم بأنهم لما عطشوا فى التيه استسقى[١] موسى ربه فسقاهم بأمر خارق للعادة ليكون لهم ذلك آية ليلزموا الايمان والطاعة وهو أن يضرب موسى عليه السلام بعصاه الحجر[٢] فيتفجر الماء منه من اثنى عشر موضعاً كل موضع يمثل عيناً يشرب منها سبط[٣] من أسباطهم الاثنى عشر حتى لا يتزاحموا فيتضرروا أكرمهم الله بهذه النعمة، ونهاهم عن الفساد في الأرض بارتكاب المعاصي.

وفى الآية الثانية (٦١) ذكرهم بسوء أخلاق كانت فى سلفهم منها عدم الصبر، والتعنت وسوء التدبير والجهالة بالخير، والرعونة وغيرها. وهذا ظاهر فى قولهم يا موسى بدل يا نبى الله او رسول الله لن نصبر على طعام واحد. وقولهم أدع لنا ربك بدل ادع الله تعالى لنا أو ادع لنا ربنا عز وجل. وفى مللهم اللحم والعسل وطلبهم الفوم والبصل بدلا عنهما وفى قول موسى عليه السلام أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير[٤] ما يقرر ذلك كما ذكرهم بالعاقبة المرة التي كانت لهم نتيجة كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء، واعتدائهم وعصيانهم، وهى أن ضرب[٥] الله تعالى عليهم الذلة والمسكنة وغضب عليهم.

كل هذا وغيره مما ذكرَ الله تعالى اليهود به فى كتابه من أجل أن يذكروا فيتعظوا ويشكروا فيؤمنوا بنبيه محمد ﷺ ويدخلوا فى دينه فيكملوا ويسعدوا بعد ان ينجوا مما حاق بهم من الذلة والمسكنة والغضب فى الدنيا، ومن عذاب النار يوم القيامة.

هدايـة الآيتين :

من هداية الآيتيـــن :

١ـ استحسان الوعظ والتذكير بنعم الله تعالى ونقمه فى الناس.

---

(١) في الآية مشروعية الاستسقاء وهو سنّة مؤكدة في الإسلام، فقد استسقى النبي ﷺ وسقى الله الأمة بدعائه غير مرّة.

(٢) انفجار الماء من الحجر معجزة عظيمة، وانفجار الماء من بين أصابع النبي محمد ﷺ معجزة أعظم لأن انفجار الماء من الأحجار معهود معروف ولكن من أصابع هي لحم ودم غير معهود قط.

(٣) السبط في بني اسرائيل كالقبيلة عند العرب.

(٤) في قوله ﴿أتستبدلون﴾ الخ انكار عليهم وتوبيخ لهم.

(٥) إحاطة الذل والمسكنة بهم ذكر في آية آل عمران مقيداً بما لم يكن لهم حبل من الله وهو الدخول في الإسلام، وحبل من الناس وهو حماية دولة قوية لهم كبريطانيا أولاً وأمريكا ثانياً

٢ـ مطالبة ذى النعمة بشكرها،[1] وذلك بطاعة الله تعالى بفعل أوامره. وترك نواهيه.

٣ـ ذم الأخلاق السيئة و التنديد بأهلها للعظة والاعتبار.

٤ـ التنديد بكبائر الذنوب كالكفر وقتل النفس بغير الحق لا سيما قتل الأنبياء أو خلفائهم وهم العلماء الآمرون بالعدل فى الأمة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ
مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

شـرح الكلمـات:

الذين آمنـوا[2] : هم المسلمون آمنوا بالله ووحدوه وآمنوا برسوله واتبعوه.

الذين هـادوا : هم اليهود سُموا[3] يهوداً لقولهم: انا هدنا اليك اى تبنا ورجعنا.

النصـارى : الصليبيون سموا نصارى إما لأنهم يتناصرون أو لنزول مريم بولدها عيسى قرية الناصرة، والواحد نصران[4] أو نصرانى وهو الشائع على الألسنة.

الصابئـون : امة كانت بالموصل يقولون لا إله إلا الله. ويقرأون الزبور. ليسوا يهوداً ولا نصارى واحدهم صابيء[5]، ولذا كانت قريش تقول لمن قال لا إله الا الله صابيء أى مائل عن دين آبائه الى دين جديد وحّدَ فيه الله تعالى.

---

(١) كما قيل: من لم يشكر النعم تعرض لزوالها ومن شكرها فقد قيّدها بعقالها.

(٢) يرى بعض المفسرين أن المراد (بالذين امنوا: المنافقون، والصحيح ما ذكرناه وهم المسلمون وسموا بالمؤمنين لصحة إيمانهم والفائدة من ذكرهم هي: ليعلم اليهود وغيرهم أن النسب والانتساب إلى الدين لا يؤهل للسعادة في الدار الآخرة، وإنما يؤهل الإيمان الصحيح، والعمل الصالح، إذ بهما تزكوا النفس وتطهر فتأهل لجوار الله تعالى في الملكوت الأعلى.

(٣) أو نسبة إلى يهوذا وهو أكبر أولاد يعقوب عليه السلام.

(٤) نصران على وزن سكران والجمع نصارى كسكارى.

(٥) قرىء بالتخفيف: الصابين وهى قراءة ورش عن نافع.

مناسبة الآية ومعناها:

لما كانت الآية فى سياق دعوة اليهود إلى الاسلام ناسب أن يعلموا أن النَّسَبَ لا قيمة لها وانما العبرة بالإيمان الصحيح والعمل الصالح المزكى للروح البشرية والمطهر لها فلذا المسلمون واليهود والنصارى والصابئون[1] وغيرهم كالمجوس وسائر أهل الأديان من آمن منهم بالله واليوم الآخر حق الإيمان وعمل صالحاً مما شرع الله تعالى من عبادات فلا خوف عليهم بعد توبتهم ولا حزن ينتابهم عند موتهم من أجل ما تركوا من الدنيا،إذ الآخرة خير وأبقى .

والإيمان الصحيح لا يتم لأحد إلا بالايمان بالنبى الخاتم محمد ﷺ والعمل الصالح لا يكون إلا بما جاء به النبى الخاتم فى كتابه وما أوحى إليه ، إذ بشريعته نسخ الله سائر الشرائع قبله وبالنسخ بطل مفعولها فهى لا تزكى النفس ولا تطهرها . والسعادة الأخروية متوقفة على زكاة النفس[2] وطهارتها .

هدايـة الآيـة :

من هداية الآيـة :

١ـ العبرة بالحقائق لا بالألفاظ فالمنافق إذا قال هو مؤمن أو مسلم ، ولم يؤمن بقلبه ولم يسلم بجوارحه لا تغنى النسبة عنه شيئاً ، واليهودى والنصرانى والصابىء وكل ذى دين نسبته إلى دين قد نسخ وبطل العمل بما فيه فأصبح لا يزكى النفس ، هذه النسبة لا تنفعه ، وانما الذى ينفع الايمان الصحيح والعمل الصالح .

٢ـ أهل الإيمان الصحيح والاستقامة على شرع الله الحق مبشرون بنفي الخوف عنهم والحزن وإذا انتفى الخوف حصل الأمن واذا انتفى الحزن حصل السرور والفرح وتلك السعادة .

وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَـٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَـٰكُم

---

(١) عامة أهل العلم على أن الصابئة ليسوا أهل كتاب فلا تُنكح نساؤهم ولا تؤكل ذبائحهم لأنهم وثنيون ولا كتاب لهم على الصحيح .

(٢) لقوله تعالى : ﴿قد أفلح من زكّاها﴾ .

(٣) مأخوذ من وثق الشيء بالحبل إذا شدّه به تقوية له .

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا(1) مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ
بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ(2) اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا(3) قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا(4) نَكَالًا لِّمَا
بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾

شرح الكلمات :

الميثاق : العهد المؤكد باليمين.

الطور : جبل أو هو الجبل الذى ناجى الله تعالى عليه موسى عليه السلام

بقوة : بجد وحزم وعزم

توليتم : رجعتم عما التزمتم القيام به من العمل بما فى التوراة

اعتدوا فى السبت : تجاوزوا الحدَّ فيه حيث حرم عليهم الصيد فيه فصادوا

قردة : القردة جمع قرد حيوان معروف مسخ الله تعالى المعتدين فى السبت على نحوه

---

(١) أي اذكروا ما تضمنه الكتاب الذي هو التوراة، اذكروا حفظاً لشرائعه وأحكامه وعملا به، واذكروا وعد الله تعالى فيه ووعيده رجاء أن تحصل لكم التقوى فتنجوا من الخسران.

(٢) من فضل الله تعالى عليهم أنه لم يعاجلهم بالعقوبة جزاء توليهم عن الطاعة، وإعراضهم عنها بعد أخذ الميثاق عليهم ومن رحمته أنه أرسل فيهم الرسل فلم تنقطع سلسلتهم إلى عيسى بن مريم عليه السلام.

(٣) الأمر هنا: كوني لا شرعي إذ لا طاقة لهم على التحول إلى قردة، وانما تحولوا بأمره الإرادي الكوني الذي لا يَتَخَلَّفُ فيه مراده عزّ وجل.

(٤) الضمير في قوله ﴿فجعلناها﴾ يعود إلى العقوبة التي هي مسخهم قردة.

خاســئين : مبعديـن عن الخير ذليلين مهانين .
نكـــالاً : عقوبة شديدة تمنع من رآها أو علمها من فعل ما كانت سبباً فيه .
لما بين يديها وما خلفها : لما بين يدى العقوبة من الناس ، ولمن يأتى بعدهم .
وموعظـة للمتقين[1] : يتعظون[2] بها فلا يقدمون على معاصى الله عز وجل .

معنى الآيـــات :

يذكـر الحق عز وجل اليهود بما كان لاسلافهم من أحداث لعلهم يعتبرون فيذكرهم بحادثة امتناعهم من تحمل العمل بالتوراة وإصرارهم على ذلك حتى رفع الله تعالى فوقهم جبلاً فأصبح كالظلة فوق رؤسهم حينئذ أذعنوا غير أنهم تراجعوا بعد ذلك ولم يفوا بما التزموا به فاستوجبوا الخسران لولا رحمة الله بهم .

كما يذكـرهم بجـريمة كانت لبعض أسلافهم وهى أنه تعالى حرم عليهم الصيد يوم السبت فاحتالت طائفة منهم على الشرع واصطادوا فنكل الله تعالى بهم فمسخهم[3] قردة ، وجعلهم عظة وعبرة للمعتبرين .[4]

هدايـة الآيات :

من هداية الآيـــات :

١ـ وجوب الوفاء بالعهود والمواثيق .
٢ـ يجب أخذ أحكام الشرع بحزم ، وذكرها وعدم نسيانها أو تناسيها .
٣ـ لا تتم التقوى لعبد إلا إذا أخذ أحكام الشرع بحزم وعزم .
٤ـ حرمة[5] الاحتيال لإباحة المحرّم وسوء عاقبة المحتالين المعتدين .

---

(١) خص المتقين بالموعظة لأنهم أحياء القلوب وذوو بصائر نيّرة ، فيشاهدون آثار المعاصي في أصحابها فيتقونها ويبتعدون عنها .
(٢) يمتنعون من فعل الذنب الذي كان سببا في العقوبة .
(٣) جرت سنة الله فيمن يمسخهم أنهم لا يعيشون ثلاثاً حتى يهلكوا ولم يبق منهم أحد ، كذا صح عن ابن عباس رضي الله عنه .
(٤) هم أهل البصائر من أهل الإيمان والتقوى إذ هم أرباب العقول ، والعاقل من اعتبر بغيره .
(٥) روى أحمد بسند جيّد عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل» .

وَإِذْ قَالَ
مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا
هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ (١) ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟
ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ
وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ
إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾
قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ
إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ
تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟
ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾

شرح الكلمات :

البقرة : واحدة البقر والذكر ثور والانثى بقرة

الذبح : قطع الودجين والمارن.

الهزؤ : السخرية واللعب.

الجاهل[٢] : الذى يقول او يفعل مالا ينبغى قوله أو فعله.

---

(١) استعاذ موسى بالله أن يكون من الجاهلين، إذا الهزؤ والسخرية، من أفعال أهل الجهل فكان قول موسى هذا وصماً لهم بالجهل وفساد العقل. وسوء الأخلاق.

(٢) الجاهل الذي جهل الأمر فقال أو عمل فيه بدون علم فأفسد وأساء.

الفـــارض[١]: المسنة، والبكر الصغيرة التى لم تلد بعد. والعوان: النَّصَفُ وسط بين المسنة والصغيرة.

فاقـــع : يقال: أصفر فاقع شديدة الصفرة كأحمر قانىء وأبيـض ناصع.[٢]

الذلــول : الرَّيِّضة التى زالت صعوبتها فاصبحت سهلة منقادة.

تثير الأرض: تقلبها بالمحراث فيثور غبارها بمعنى أنها لم تستعمل فى الحرث ولا فى سقاية الزرع أى لم يُسن عليها، وذلك لصغرها.

مســلّمة : سليمة من العيوب كالعور والعرج.[٣]

لاشية فيها : الشية العلامة أى لا يوجد فيها لون غير لونها[٤] من سواد أو بياض.

معنى الآيـات :

واذكر يا رسولنا لهؤلاء اليهود عيباً آخر من عيوب أسلافهم الذين يَعْتزُّونَ بهم وهو سوء سلوكهم مع أنبيائهم فيكون توبيخاً لهم لعلهم يرجعون عن غيهم فيؤمنوا بك وبما جئت به من الهدى ودين الحق. اذكر لهم قصة الرجل الذى قتله ابن أخيه استعجالا لإرثه ثم ألقاه تعمية فى حى غير الحى الذى هو منه، ولما اختلفوا فى القاتل قالوا نذهب الى موسى يدعو لنا ربه ليبين لنا من هو القاتل فجاءوه فقال لهم ان الله تعالى يأمركم ان تذبحوا بقرة من أجل ان يضربـوا القتيل بجـزء منها فينطق مبيناً من قتله فلما قال لهم ذلك قالوا أتتخذنا هزؤاً فوصفوا نبى الله بالسخرية واللعب وهذا ذنب قبيح وما زالوا يسألونه عن البقرة ويتشددون حتى شدد الله تعالى عليهم الأمر الذى كادوا معه لا يذبحون مع أنهم لو تناولوا بقرة من عرض الشارع وذبحوها لكفتهم[٥]. ولكن شددوا فشدد الله عليهم فعثروا على البقرة المطلوبة بعد جهد جهيد وغالى فيها صاحبها فباعها منهم بملء جلدها ذهباً.

---

(١) الفارض: المسنّه التي فرضت سنها فقطعته، لأن الفرض لغة القطع.

(٢) هذه الألفاظ يؤتي بها لتأكيد الوصف فيقال: أخضر مدهام وأورق خطباني «الخطباني نبت».

(٣) استدل الجمهور بهذه الصفات المذكورة للبقرة على جواز بيع السلَم في الحيوان كما استدلوا بقول الرسول ﷺ في الصحيح: «لا تنعت المرأة المرأة لزوجها، كأنّه ينظر إليها، وخالف أبو حنيفة وقال بعدم صحة السلم في الحيوان.

(٤) لأن الشية مأخوذة من وشي الثوب إذا نسج على لونين، ولذا قيل النمام واش لأنه لوّن الكلام بألوان من كذبه وباطله.

(٥) نقل ابن كثير عن ابن جرير الرواية التالية: إنما امروا بأدنى بقرة، ولكنهم لما شددوا، شدّد الله عليهم، وأيم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الدهر.

هدايـة الآيـات :

من هداية الآيات :

١ـ بيان ما كان عليه قوم موسى من بنى اسرائيل من العجرفة وسوء الأخلاق ليتجنب مثلها المسلمون .

٢ـ حرمة الاعتراض على الشارع ووجوب تسليم أمره أو نهيه ولو لم تعرف فائدة الأمر والنهى وعلتها .

٣ـ الندب الى الأخذ بالمتيسر وكراهة[1] التشدد فى الأمور .

٤ـ بيان فائدة الاستثناء بقول إن شاء الله ، إذ لو لم يقل اليهود ان شاء[2] الله لمهتدون ما كانوا ليهتدوا إلى معرفة البقرة المطلوبة .

٥ـ ينبغي تحاشي الكلمات التى قد يفهم منها انتقاص الأنبياء مثل قولهم الآن جئت بالحق ، اذ مفهومه أنه ما جاءهم بالحق إلا فى هذه المرة من عدة مرات سبقت ! !

وَإِذْ
قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَءْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِي[3] اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ[4] أَشَدُّ قَسْوَةً[5] وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ

---

(١) وشاهده من السنة قوله ﷺ في الصحيحين : «يسروا ولا تعسروا بشروا ولا تنفروا» وقوله ﷺ لأصحابه «إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين» رواه الترمذي .

(٢) يشهد لصحة هذا أن نبي الله سليمان لما لم يستثن لم تلد له امرأة من المائة إلاّ واحدة ، وجاءت به نصف ولد وقال رسول الله ﷺ «لو استثنى لكان دركاً لحاجته» كما في البخاري .

(٣) لما كانت عقيدة البعث والجزاء ذات تأثير كبير في إصلاح الإنسان خلقاً وسلوكاً ذكرها تعالى في أثناء سياق القصة مع أن اليهود يؤمنون بالبعث الآخر .

(٤) أو : بمعنى الواو وليست لشك وقد تكون بمعنى بل وشاهد الأول قول الشاعر : أتى الخلافة أو كانت له قدراً بمعنى وكانت وشاهد الثاني : ﴿فأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ الآية أي : بل يزيدون لاستحالة الشك على الله تعالى .

(٥) القسوة في عرف اللغة : اليبس والصلابة ، ووصفت قلوب اليهود بذلك لأنها خالية من اللطف والرحمة .

مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ



شـــرح الكلـمات :

نفســـاً : نفس الرجل الذى قتله وارثه استعجالا للإرث.

ادارأتم فيهـا : تدافعتم أمر قتلها كل قبيل يقول قتلها القبيل الآخر.

مـا تكتمـــون : من أمر القاتل ستراً عليه دفعاً للعقوبة والفضيحة.

ببعضـــهـــا : ببعض أجزاء البقرة كلسانها أو رجلها مثلا.

معنى الآيـات :

يقول تعالى لليهود موبخاً لهم اذكروا إذ قتل أحد أسلافكم قريبه ليرثه فاختصم فى شأن القتل كل جماعة تنفي أن يكون القاتل منها، والحال أن الله تعالى مظهر ما تكتمونه لا محالة إحقاقاً للحق وفضيحة للقاتلين فأمركم أن تضربوا القتيل ببعض أجزاء البقرة فيحيا ويخبر عن قاتله ففعلتم وأحيا الله القتيل وأخبر بقاتله[1] فقتل به فأراكم الله تعالى بهذه القصة آية من آياتـه الدالة على حلمه وعلمه وقدرته وكان المفروض أن تعقلوا عن الله آياته فتكملوا فى إيمانكم وأخـلاقكم وطـاعتكم، ولكن بدل هذا قست قلوبكم وتحجرت وأصبحت أشد قساوة من الحجارة فهى لا ترق ولا تلين ولا تخشع على عكس الحجارة إذ منها ما تتفجر منه العيون، ومنها ما يلين فيهبط من خشية الله كما اندك جبل الطور لما تجلى له الرب تعالى، وكما اضطرب أُحُد تحت قدمى رسول الله ﷺ وأصحابه. ثم توعدكم الرب تعالى بأنه ليس بغافل عما تعملون من الذنوب والآثام وسيجزيكم به جزاء عادلا إن لم تتوبوا إليه وتنيبوا.

هدايـــة الآيـات :

من هدايـة الآيـات :

١ـ صدق نبوة الرسول محمد ﷺ وتقريرها أمام اليهود إذ يخبرهم بأمور جرت لأسلافهم لم

---

(١) في هذه الآية شاهد لمالك في أن الجريح إذا أخبر عن جرحه. ومات أنّ اخباره يعد لَوْثاً وتجري في الحادث القسامة وخالف الجمهور وقالوا: اخبار القتيل لا يكفي في وجود اللوث المقتضي للقسامة ولرأي مالك شاهد من السنة وهي الجارية التي رضّ رأسها كما في البخاري.

يكن يعلمها غيرهم وذلك إقامة للحجة عليهم.

٢ـ الكشف عن نفسيات اليهود وانهم يتوارثون الرعونات والمكر والخداع.

٣ـ اليهود من أقسى البشر قلوباً الى اليوم، اذ كل عام يرمون البشرية بقاصمة الظهر وهم ضاحكون.

٤ـ من علامات الشقاء قساوة القلوب، وفى الحديث: «من لا يرحم لا يرحم»*.

أَفَتَطْمَعُونَ[١] أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ[٢] وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾

شرح الكلمات:

افتطمعون: الهمزة للانكار الاستبعادى، والطمع تعلق النفس بالشىء رغبة فيه

يؤمنوا لكم: يُتابعونكم على دينكم (الإسلام).

كلام الله[٣]: فى كتبه كالتوراة والإنجيل والقرآن

يحرفونه[٤]: التحريف الميل بالكلام على وجه لا يدل على معناه كما قالوا فى نعت

(١) الطمع كالرجاء، وهو ترقب شيء محبوب وضدها اليأس.

(٢) أي: فهموه فهماً جلياً واضحاً ومع هذا يجافونه على بصيرة.

(٣) ويدخل في الجملة: الذين سمعوا كلام الله مع موسى عليه السلام في جبل الطور وهم السبعون الذين اختارهم موسى وخرج بهم إلى الطور طلبا لتوبتهم.

(٤) التحريف: مصدر حرف الشيء إذا مال به إلى الحرف الذي هو الطرف والبعد عن وسط الجادّة.

● متفق عليه

الرسول ﷺ فى التوراة: اكحل العينين ربعة جعد الشعر حسن الوجه قالوا: طويل أزرق العينين سبط الشعر.

اذا لقوا الذين آمنوا : إذا لقي منافقوا اليهود المؤمنين قالوا آمنا بنبيكم ودينكم

أتحدثونهم : الهمزة للاستفهام الانكارى، وتحديثهم إخبار المؤمنين بنعوت النبى فى التوراة

بما فتح الله عليكم : إذا خلا منافقوا اليهود برؤسائهم أنكروا عليهم اخبارهم المؤمنين بنعوت النبى ﷺ فى التوراة، وهو مما فتح[1] الله به عليهم ولم يعلمه غيرهم.

ليحاجوكم به : يقولون لهم لا تخبروا المؤمنين بما خصكم الله به من العلم حتى لا يحتجوا عليكم به فيغلبوكم وتقوم الحجة عليكم فيعذبكم الله.[2]

أميون : الأمي: المنسوب إلى أمه كأنه ما زال فى حجر أمه لم يفارقه فلذا هو لم يتعلم الكتابة والقراءة.[3]

أماني : الأمانى جمع أمنية وهى إمّا ما يتمناه المرء فى نفسه من شىء يريد الحصول عليه، وإما القراءة من تمنى الكتاب اذا قرأه.[4]

معنى الآيات :

ينكر تعالى على المؤمنين طمعهم فى إيمان اليهود لهم بنبيهم ودينهم، ويذكر وجه استبعاده بما عرف به اليهود سلفاً وخلفاً من الغش والاحتيال بتحريف الكلام وتبديله تعمية وتضليلا حتى لا يُهتدى الى وجه الحق فيه ومن كان هذا حاله يبعد جداً تخلصه من النفاق والكذب وكتمان الحق ﴿وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا﴾ وهم كاذبون واذا خلا بعضهم ببعض أنكروا

---

(١) من الجائز أن يكون معنى بما فتح الله به عليهم أي: قضى وحكم من انزال المصائب بهم والكوارث بأسلافهم وهي كثيرة لأن فتح تكون بمعنى حكم ومنه قوله تعالى: ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي: أحكم.

(٢) هذا الكلام جارٍ على عقيدة اليهود في تشبيههم الرب تعالى بحكام البشر في رواج الحيل عليه، وإمكان مغالطته وأنه تعالى يوجد الشيء ثم يندم ويأسف كما هو صريح في التوراة فلذا أنكروا على بعضهم إخبار المؤمنين بصدق النبوة المحمدية مخافة أن يحتجوا عليهم يوم القيامة بذلك.

(٣) وجائز أن يكون منسوبا إلى الأمة فيكون بمعنى الغامي المنسوب إلى العامة.

(٤) وشاهده قول الشاعر في عثمان رضي الله عنه:

تمنى كتاب الله أوّل ليله   وآخره لاقى حِمام المقادر

أي: قرأ القرآن في أوّل الليل الذي قتل فيه رضي الله عنه

على أنفسهم ما فَاه به بعضهم للمسلمين من صدق نبوة الرسول وصحة دينه متعللين بأن مثل هذا الاعتراف يؤدى الى احتجاج المسلمين به عليهم وغلبهم فى الحجة وسبحان الله كيف فسد ذوق القوم وساء فهمهم حتى ظنوا ان ما يخفونه يمكن اخفاؤه على الله قال تعالى فى التنديد بهذا الموقف الشائن ﴿أو لا يعلمون ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾؟

ومن جَهْلِ بعضهم بما فى التوراة وعدم العلم بما فيها من الحق والهدى والنور ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانيّ﴾ أى إلاَّ مُجرَّد قراءة فقط أما إدراك المعانى الموجبة لمعرفة الحق والإيمان به واتباعه فليس لهم فيها نصيب، وما يقولونه ويتفوهون به لم يَعْدُ الخَرْصَ والظَّنُّ الكاذِبَ.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ أن ابعد الناس عن قبول الحق والاذعان له اليهود.

٢ـ قبح إنكار الحق بعد معرفته.

٣ـ قبح الجهل بالله وبصفاته العلا وأسمائه الحسنى.

٤ـ ما كل من يقرأ الكتاب يفهم معانيه فضلا عن معرفة حِكمه وأسراره وواقع أكثر المسلمين اليوم شاهد على هذا فإن حفظة القرآن منهم من لا يعرفون معانيه فضلا عن غير الحافظين له.

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ
فَوَيْلٌ[1] لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ[2] وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ
٧٩ وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ

(١) في قوله تعالى: ﴿فويل لهم﴾ الخ بيان سبب عذابهم وهو كذبهم على الله بكتابة شيء، ونسبته إلى الله تعالى كما هو أكلهم الحرام الذي كسبوه بالكتابة الباطلة.

(٢) قوله بأيديهم. هو نحو نظرته بعيني، وقلته بلساني تأكيد لاغير.

أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ أَمْ تَقُولُونَ
عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ
فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾

شرح الكلمات :

ويل : الويل[1]: كلمة تقال لمن وقع فى هلكة أو عذاب.

الكتاب : ما يكتبه علماء اليهود من أباطيل وينسبونه الى الله تعالى ليتوصلوا به الى أغراض دَنِيَّةٍ من متاع الدنيا القليل.

من عند الله : ينسبون ما كتبوه بأيديهم الى التوراه بوصفها[2] كتاب الله ووحيه الى موسى عليه السلام.

يكسبون : الكسب يكون فى الخير، وهو هنا فى الشر فيكون من باب التهكم بهم.

أياماً معدودة : أربعين[3] يوماً وهذا من كذبهم وتضليلهم للعوام منهم ليصرفوهم عن الاسلام.

أتخذتم عند الله عهدا : الهمزة للاستفهام الانكارى، والعهد: الوعد المؤكد.

سيئة : هذه سيئة الكفر والكذب على الله تعالى.

أحاطت به[4] : الإحاطة بالشيء: الالتفاف به والدوران عليه.

---

(١) الويل مصدر أمات العرب فعله، ومؤنثه الويلة، والجمع الويلات وإعرابه إن افرد ولم يضف الرفع بالابتداء وخبره المجرور بحرف الجر، وإن أضيف إلى ضمير نصب نحو: ويلك لا تفعل كذا، وإن أضيف إلى ظاهر رفع الابتداء نحو ويل أمه. مسعر حرب الحديث. . .

(٢) من المعلوم أن التوراه قد أخذت من اليهود في حملة بختنصر وفي حملةالقائدالروماني ولذا ضاع أكثرها وزيد فيها ونقص منها بحيث ما أصبحت صالحة لهداية البشرية، ومن هنا أصبح علماؤهم يكتبون الكلمات وينسبونها إلى التوراة التي هي كتاب الله في الأصل، ويزعمون أن ما كتبوه هو من كلام الله.

(٣) ذكر ابن كثير في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلاّ أياماً معدودة﴾ أن عكرمة قال: (خاصمت اليهود رسول الله ﷺ فقالوا: لن ندخل النار إلاّ أربعين ليلة وسيخلفنا فيها آخرون يعنون محمداً وأصحابه فقال رسول الله ﷺ بيده على رؤوسهم: بل أنتم خالدون مخلّدون لا يخلفكم فيها أحد فأنزل الله عز وجل ﴿وقالوا لن تمسنا النار. .﴾ الآية.

(٤) بيّن هذا رسول الله ﷺ بقوله: فى رواية أحمد فقال: «إياكم ومحقرات الذنوب فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه.

خطيئتـــه : الخطيئة واحدة الخطايا وهى الذنوب عامة .
الخلـــود : البقاء الدائم الذى لا تحول معه ولا ارتحال .

معنى الآيـات :

يتوعد الرب تبارك وتعالى بالعذاب الأليم أولئك المضللين من اليهود الذين يحرفون كلام الله ، ويكتبون أموراً من الباطل وينسبونها الى الله تعالى ليتوصلوا بها الى أغراض دنيوية سافلة .

وينكر عليهم تبجحهم الفارغ بأنهم لا يعذبون بالنار مهما كانت ذنوبهم ما داموا على ملة اليهود إلا أربعين يوما ثم يخرجون ، وجائز أن يتم هذا لو كان هناك عهد من الله تعالى قطعه لهم به ولكن أين العهد؟ إنما هو الادعاء الكاذب فقط ثم يقرر العليم الحكيم سبحانه وتعالى حكمه فى مصير الإنسان بدخول النار أو الجنة ذلك الحكم القائم على العدل والرحمة البعيد عن التـأثـر بالأنساب والأحساب فيقول بلى ، ليس الأمر كما تدعون ، وإنما هى الخطايا والحسنات فمن كسب سيئة وأحاطت[1] به خطيئاته[2] فَخَبُثَتْ نفسَه ولوّثتها فهذا لا يُلائم خبث نفسه إلا النار ، ومن آمن وعمل صالحاً فزكى بالإيمان والعمل الصالح نفسه وطهرها فإنه لا يلائم طهـارةَ روحـه وزكاة نفسه إلا الجنة دار النعيم . أما الحسب والنسب والادعاءات الكاذبة فلا تأثير لها البتة .

هدايـة الآيـــات :

من هدايـة الآيـــات :

١ـ التحذير الشديد من الفتاوى الباطلة التى تحرم ما أحل الله أو تحلل ما حرم ليتوصل بها صاحبها الى غرض دنيوي كمال ، أوحظوة لدى ذى سلطان .

٢ـ إبطال الإنتفاع بالنَّسب والإنتساب ، وتقرير أن سعادة الإنسان كشقائه مردهما في السعادة إلى الإيمان والعمل الصالح . وفي الشقاوة إلى الشرك والمعاصي .

٣ـ التنبيه على خَطَرِ الذنوب صغيرها وكبيرها ، وإلى العمل على تكفيرها بالتوبة والعمل الصالح قبل أن تحوط بالنفس فتحجبها عن التوبة والعياذ بالله .

---

(١) دلَّ هذا على أنَّ المعلق على شرطين لايتم بأقلهما وهو كقوله ﷺ للذي قال له : قل لي في الإسلام قولا لا أسأل عنه أحداً بعدك قال : قل آمنت بالله ثم استقم حديث حسن ذكره النووي في الأربعين.
(٢) قرأ نافع خطيئاته بالجمع وقرأ حفص خطيئته بالإفراد .

وَٱلَّذِينَ[1] ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ
أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ[2] إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ[3]
إِحْسَانًا وَذِي[4] ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا[5] مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنتُمْ[6] هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ
وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ
بِبَعْضٍ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ
فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ

---

(١) قوله تعالى: ﴿والذين آمنوا..﴾ الخ بعد ذكر النار وأهلها من باب ذكر الترغيب بعد الترهيب كما هي سنة القرآن الكريم.

(٢) قوله: ﴿لاتعبدون.. الخ﴾ تفسير لمضمون الميثاق والجملة خبرية لفظاً، انشائية معنى، إذ هي في معنى اعبدوا الله وحده، وأحسنوا بالوالدين. وقولوا للناس حسنا الخ.

(٣) الوالدان: الأم والأب يقال للأم والد ووالدة فلذا ثُنى على الوالدين، أو هو من باب التغليب كالعمرين في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

(٤) ذي: بمعنى صاحب.

(٥) فيه انصاف واحتراز حيث استثنى مَنْ لم يَتَوَلَّ عَما التزم به من بنود العهد وإن كان قليلاً.

(٦) اعرب (أنتم) خبر مقدّم وهؤلاء مبتدأ مؤخر وتقتلون حال. واعرب أيضاً (أنتم) مبتدأ وهؤلاء منادى والخبر تقتلون: أي: ثم أنتم يا هؤلاء تقتلون. وفيه معنى التعجب من حالهم والانكار عليهم.

وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ[1]
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

شـرح الكلمات :

الميثـاق : العهد[2] المؤكد باليمين.

حسـناً : حسن القـول: الأمـر بالمعروف والنهي عن المنكر والمخاطبة باللين، والكلم الطيب الخالي من البذاءة والفحش.

توليـتم : رجعتم عما التزمتم به مصممين على أن لا تتوبوا.

سـفك الدماء[3] : إراقتها وصبها بالقتل والجراحات.

تظاهـرون : قرىء تـظّاهرون، وتظاهرون بتاء واحدة ومعناه تتعاونون.

بالإثـم والعدوان : الإثم: الضار الموجب للعقوبة، والعدوان الظلم.

أسـارى : جمع أسير: من أخذ في الحـرب.

الخـزي : الذل والمهانـة.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في تذكير اليهود[4] بما كان لأسلافهم من خير وغيره والمراد هدايتهم لو كانـوا يهتدون، فقد ذكرهم في الآية (٨٣) بما أخذ الله تعالى عليهم في التوراة من عهود ومواثيق على أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا في عبادته سواه. وأن يحسنوا للوالدين ولذى

---

(١) أي: باعوا آخرتهم بدنياهم فخسروا خسرانا عظيماً لحقارة الدنيا، وعظم الآخرة، والاشتراء في الآية بمعنى الاستبدال، استبدلوا الآخرة فلم يعملوا لها بالدنيا حيث قصروا أعمالهم على تحصيلها.

(٢) هذا الميثاق تضمنه الوصايا العشر المنزلة على موسى عليه السلام أو على الأقل بعضه والبعض الآخر تضمنه ما أخذ عليهم عند رفع الطور عليهم لما رفضوا الالتزام بما في التوراة.

(٣) قوله تعالى في الآية ﴿تسفكون دماءكم﴾ وقوله ﴿تقتلون أنفسكم﴾ ليس معناه أن أحدهم يقتل نفسه ويسفك أي يسيل دمه، وإنما لا يسفك بعضكم دم بعض، ولا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أمة واحدة.

(٤) هم يهود المدينة، وهم ثلاث طوائف بنو قينقاع وبنو النضير، وقريظة.

القربى واليتامى والمساكين وأن يقولوا للناس الحسن من القول ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وندد بصنيعهم حيث نقض هذا العهد والميثاق أكثرهم ولم يفوا به وفي الآية الثانية (٨٤) ذكرهم بميثاق خاص أخذه عليهم في التوراة أيضاً وهو الإسرائيلي لايقتل الإسرائيلي ولا يخرجه من داره بغياً وعدواناً عليه. وإذا وقع في الأسر وجب فكاكه بكل وسيلة ولا يجوز تركه أسيرا بحال، أخذ عليهم بهذا ميثاقاً غليظاً وأقروا به وشهدوا عليه وفي الآية الثالثة (٨٥) وبّخهم على عدم وفائهم بما التزموا به حيث صار اليهودي يقتل[1] اليهودي ويخرجه من داره بغياً وعدواناً عليه. وفي نفس الوقت إن أتاهم يهودي أسيراً[2] فَدَوهُ بالغالي والرخيص، فندد الله تعالى بصنيعهم هذا الذي هو إهمال واجب وقيامٌ بآخر تبعاً لأهوائهم فكانوا كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض ومن هنا توعدهم بخزي الدنيا وعذاب الآخرة. وفي الآية الرابعة (٨٦) أخبر أنهم بصنيعهم ذلك اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فكان جزاؤهم عذاب الآخرة حيث لا يخفف عنهم ولا ينصرون فيه بدفعه عنهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١ـ مشروعية تذكير الناس ووعظهم بما يكون سبباً لهدايتهم.

٢ـ وجوب عبادة الله وتوحيده فيها.

٣ـ وجوب الإحسان إلى الوالدين ولذوي القربى واليتامى[3] والمساكين.

٤ـ وجوب معاملة الناس بحسن[4] الأدب.

---

(١) حصل لهم هذا بالمدينة النبوية وذلك أن سكان المدينة كانوا يتألفون من قبيلتين الأوس والخزرج، وقبائل اليهود الثلاث، وكانت الحروب تندلع بينهم لأتفه الأسباب وكان بنو قينقاع وبنو النضير حلفا للخزرج وبنو قريضة حلفا للأوس، فإذا اندلعت الحرب بين الأوس والخزرج قاتل اليهود مع حلفائهم وبذلك يقتل اليهودي أخاه ويسفك دمه وإذا انتهت الحرب فادوا أسراهم طاعة لله تعالى إذ أوجب ذلك عليهم.

(٢) الأسر: مأخوذ من الاسار وهو القدّ الذي يشدّ به المحمل فيسمى أخيذ الحرب أسيراً، لأنه يشد وثاقه، وجمعه أسرى وأسارى كسكرى وسكارى، ثم سمي كل أخيذ في الحرب أسيراً.

(٣) روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة» وأشار الراوي بالسبابة والوسطى أي: من أصابعه كما روي أيضاً عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله».

(٤) بأن يكون اللفظ طيباً والوجه منبسطاً.

٥ـ تعرض أمة الإسلام لخزي الدنيا وعذاب الآخرة بتطبيقها بعض أحكام الشريعة وإهمالها البعض الآخر.

٦ـ كفر من يتخير أحكام الشرع فيعمل ما يوافق مصالحه وهواه، ويهمل مالا يوافق.

٧ـ كفر من لا يقيم دين الله إعراضاً عنه وعدم مبالاة به.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ
بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى(١) ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ
بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا(٢) جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ(٣) أَنفُسُكُمُ
ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟
قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾
وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟
مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم
مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾
بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ
فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ
﴿٩٠﴾

---

(١) عيسى: مُعَرَّب يسوع أو يشوع لأن عيسى أخف منهما.

(٢) قوله تعالى: ﴿أفكلما جاءكم...﴾ الخ إيحاء باللوم والعتاب بل هو تقريع وتوبيخ لليهود على تمردهم على رسلهم بتكذيب البعض وقتل البعض اتباعاً لأهوائهم وأغراضهم الدنية.

(٣) تهوى مضارع هوى بكسر الواو إذا أحب ومنه حديث البخاري والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك أي حبك والقائلة عائشة رضي الله عنها ويجمع الهوى على أهواء.

شرح الكلمـات :

موســـى : موسى بن عمران نبي مرسل إلى بني إسرائيل.

الكتـــاب : التـــوراة.

قـفيـنـا : أرسلناهم يَقْـفُو بعضهم بعضاً أي واحداً بعدَ واحد.

الـرســل : جمع رسول: ذكر من بني آدم أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه.

البينـــات : المعجزات وآيات الله في الإنجيل.

روح[1] القـدس : جبريل عليه السلام.

غـلـفٌ : عليها غلاف يمنعها من الفهم لما تدعونا إليه، أو هي أوعية للعلم فلا نحتاج معها إلى أن نتعلم عنك.

كتاب من عند الله : القـرآن الكريـم.

يستفتحـون[2] : يطلبون الفتح أي النصر.

بئســما : بئـس كلمة ذَمّ، ضدها نِعْمَ فإنها للمدح.

بغيـــاً[3] : حســداً وظلمـاً.

باءوا بغـضـب[4] : رجعوا والغضب ضـد الرضا، ومن غضب الله عليه أبعده ومن رضي عنه قربه وأدناه.

مـهيـــن : عذاب فيه إهانة وصغار وذل للمعذب به.

معنـى الآيـات :

مازال السياق الكريم في ذكر إنعام الله تعالى على بني إسرائيل، وذكر معايبهم وبيان مثالبهم لعل ذكر الإنعام يحملهم على الشكر فيؤمنوا، وذكر المعايب يحملهم على الإصلاح والتوبة فيتوبوا ويصلحوا ففي الآية (٨٧) يذكر تعالى منته بإعطاء موسى التوراة وإرسال

---

(١) الروح: جوهر نوراني لطيف لا يدرك بالحواس فيطلق على نفس الإنسان دون أنفس الحيوانات، ويطلق على جبريل عليه السلام وعلى ملك عظيم من الملائكة، والقدس مصدر أو اسم مصدر بمعنى النزاهة، والطهارة، والمقدس معناه المطهّر المنزّه عما لا يليق به.

(٢) وذلك بأيمانهم واتباعهم للنبي المنتظر إلاّ أنهم لما جاءهم كفروا به، وهذه طبيعتهم كما قيل: شنشنة أعرفها من أخزم.

(٣) مفعول لأجله علة لكفرهم.

(٤) هل تعدد الغضب لتعدد كفرهم بما أمروا بالإيمان به إذ كفروا بعيسى فباءوا بغضب وكفروا بمحمد ﷺ فباءوا بغضب آخر أو هو شدّة الحال عليهم لكثرة كفرهم وفسقهم؟

الرسل بعده بعضهم على أثر بعض، وبإعطاء عيسى البينات وتأييده بروح القدس جبريل عليه السلام ومع هذا فإنهم لم يستقيموا بل كانوا يقتلون الأنبياء ويكذبونهم فوبخهم الله تعالى على ذلك بقوله: ﴿أفكلما[1] جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقاً كذبتم وفريقاً تقتلون﴾. وفي الآية الثانية (٨٨) يذكر تعالى تبجحهم بالعلم واستغنائهم به، ويبطل دعواهم ويثبت علة ذلك وهي أن الله لعنهم بكفرهم فلذا هم لا يؤمنون وفي الآية الثالثة (٨٩) يذكر تعالى كفرهم بالقرآن ونبيّه بعد أن كانوا قبل بعثة النبي ﷺ يقولون للعرب إن نبياً قد أظل زمانه وسوف نؤمن به ونقاتلكم معه وننتصر[2] عليكم فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله[3] عليهم لأنهم كافرون. وفي الآية الرابعة (٨٩) يقبّح الله تعالى سلوكهم حيث باعوا أنفسهم رخيصة، باعوها بالكفر فلم يؤمنوا بالقرآن ونبيّه حسداً[4] أن يكون في العرب نبي يوحى إليه ورسول يطاع ويتبع، فرجعوا من طول رحلتهم في الضلال بغضب عظيم سببه كفرهم بعيسى، وبغضب عظيم سببه كفرهم بمحمد ﷺ ومع الغضب العذاب المهين في الدنيا والآخرة.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- واجب النعمة الشكر، وواجب الذنب التوبة.

٢- قبح رد الحق لعدم موافقته هوى النفس. ٣- فظاعة جريمة القتل والتكذيب بالحق.

٤- سوء عاقبة التبجح بالعلم وإدعاء عدم الحاجة إلى المزيد منه.

٥- ذم الحسد وأنه أخو البغي وعاقبتها الحرمان والخراب.

٦- شر ما يخاف منه سوء الخاتمة والعياذ بالله تعالى.

---

(١) الجمهور من النحاة على أن همزة الاستفهام في ﴿أفكلما جاءكم﴾ ونحوها مقدمة من تأخير إذ موقعها بعد الفاء العاطفة ولما كان حرف الاستفهام وخاصة الهمزة له الصدارة، قدمت الهمزة على الفاء العاطفة فقال ﴿أفكلّما﴾ وخلاف الجمهور يرى أن الهمزة داخلة على محذوف يقدر بحسب المقام.

(٢) هذا معنى قوله تعالى: ﴿وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلمّا جاءهم ما عرفوا كفروا به﴾.

(٣) لم يقل الله تعالى فلعنة الله عليهم وإنما قال فلعنة الله على الكافرين إشارة إلى سبب اللعنة وهو الكفر لا الجنس أو العرق وليعم كلّ كافر أيضاً.

(٤) سمي الحسد بغياً وظلما، لأن البغي والظلم بمعنى، والظلم وضع الشيء في غير موضعه، والحاسد متمنٍّ زوال النعمة عن المحسود، وهو في هذا الحال ظالم متعد لأنه لا يناله من زوالها نفع ولا من بقائها ضرر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ(١) وَهُوَ ٱلْحَقُّ(٢) مُصَدِّقًا
لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ(٣) أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم
مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ
ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا
مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ(٤) وَٱسْمَعُوا(٥) ۖ قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا
وَأُشْرِبُوا فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ
بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾

شــرح الكلمــات :

بما أنزل الله : مـن القـــرآن .

بما أنزل علينا : التـــوراة .

وهو الحق مصدقاً : القـرآن الكـريم مقـرر لأصـول الأديان الإلهية كالتـوحيد والنبوات والبعث والجزاء في الدار الآخـرة .

البينـــات : المعجـــــزات .

---

(١) أي : بما سواه وهو القرآن الكريم دلّ عليه السياق .

(٢) جملة ﴿وهو الحق﴾ حالية و﴿مصدقا﴾ حال مؤكدة ويصح أن تكون حال مؤسسة .

(٣) الإتيان بالمضارع في ﴿تقتلون﴾ مع أن القتل قد مضى لقصد استحضار الحالة الفظيعة كما فيه إشارة إلى استعدادهم لفعل تلك الفعلة الشنيعة وهي قتل الأنبياء والعلماء .

(٤) فإن قيل لقد سبق مثل هذا القصص فما الفائدة من إعادته هنا؟ الجواب : أنه ذكر فيه ما لم يذكر هنالك وهو قوله ﴿واسمعوا . . .﴾ الخ .

(٥) قوله : ﴿واسمعوا﴾ ليس المراد السماع بالحاسة، وإنما المراد الطاعة والامتثال كقول المرء : فلان لا يسمع كلامي، فإنّ معناه لا يمتثل أمري ولا يطيعني كما أن قوله : ﴿وعصينا﴾ ليس معناه النّطق بلفظ عصينا وإنما معناه أنهم لم يمتثلوا الأمر الصادر إليهم .

اتخذتم العجل : يريد إلهاً عبدتموه في غيبة موسى عليه السلام.

وأشربوا في قلوبهم العجل : أي حب العجل الذي عبدوه بدعوة السامري لهم بذلك.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم في بني إسرائيل وتقريعهم على سوء أفعالهم ففي الآية الأولى (٩١) يخبر تعالى أن اليهود إذا دعوا إلى الإيمان بالقرآن يدّعون أنهم في غير حاجة إلى إيمان جديد بحجة أنهم مؤمنون من قبل بما أنزل الله تعالى في التوراة وبهذا يكفرون بغير التوراة وهو القرآن مع أن القرآن حق والدليل أنه مصدق لما معهم من حق في التوراة ثم أمر الله رسوله أن يبطل دعواهم موبخاً إياهم بقوله: ﴿فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ إذ قتل الأنبياء يتنافى مع الإيمان تمام المنافاة.

وفي الآية الثالثة (٩٣) يذكّر تعالى اليهود بما أخذه على أسلافهم من عهد وميثاق بالعمل بما جاء في التوراة عندما رفع الطور فوق رؤوسهم تهديداً لهم غير أنهم لم يفوا بما عاهدوا عليه كأنهم قالوا سمعنا وعصينا، فعبدوا العجل وأشربوا حبه في قلوبهم بسبب كفرهم ثم أمر رسوله ﷺ أن يقبّح ما ادّعوه من أن إيمانهم هو الذي أمرهم بقتل الأنبياء وعبادة العجل، والتمرد والعصيان.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ مشروعية توبيخ أهل الجرائم على جرائمهم إذا أظهروها.

٢ـ جرأة اليهود على قتل الأنبياء والمصلحين من الناس.

٣ـ وجوب أخذ أمور الشرع بالحزم والعزم والقوة.

٤ـ الإيمان الحق لا يأمر صاحبه إلا بالمعروف، والإيمان الباطل المزيف يأمر صاحبه بالمنكر.

قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ[1] ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن

---

(١) هذه الآية تحمل الرد على مزاعم أخرى لليهود وهي دعواهم أنهم أولياء الله وأن الجنة لهم دون غيرهم ولذا فهم في غير حاجة إلى دين جديد كالإسلام الذي جاء به محمد ﷺ فأمر الله رسوله أن يباهلهم فطلب منهم أن يتمنوا الموت وسألوه فنكلوا ولم يباهلوا وظهر بذلك كذبهم وتمّت فضيحتهم.

دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدَۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ
﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ
أَشْرَكُواْ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ
مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ
مَن كَانَ[1] عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ[2]
وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾

شرح الكلمات :

الدار الآخرة : المراد منها نعيمها وما أعد الله تعالى فيها لأوليائه .

خالصة : خاصة لا يدخلها أحد سواكم .

تمنوا الموت : تمنّوه في نفوسكم واطلبوه بألسنتكم فإن من كانت له الدار الآخرة لا خير له في بقائه في الدنيا .

إن كنتم صادقين : أي في دعوى أن نعيم الآخرة خاص بكم لا يشارككم فيه غيركم .

حياة : التنكير فيها لتعم كل حياة ولو كانت ذميمة .

يودّ : يحب

---

(١) روى الترمذي في سبب نزول ﴿مَنْ كان عدوا لجبريل . . .﴾ الخ أن اليهود قالوا للنبي ﷺ : إنّه ليس نبي من الأنبياء إلاّ يأتيه ملك من الملائكة من عند ربّه بالرسالة وبالوحي فمن صاحبك حتى نتابعك؟ قال جبريل . قالوا : ذلك الذي ينزل بالحرب وبالقتال ذلك عدونا لو قلت : ميكائيل الذي ينزل بالقطر والرحمة تابعناك فأنزل الله الآية إلى قوله ﴿للكافرين﴾ .

(٢) ذكر جبريل وميكائيل بعد ذكرهم في عموم الملائكة دليل على شرفهما وعلو مقامهما .

الذين أشركوا : هم غير أهل الكتاب من سائر الكفار.
بمزحزحه : بمبعده من العذاب.
أن يعمر : تعميره ألف سنة.
جبريل : روح القدس الموكل بالوحي يتنزل به على رسول الله ﷺ.
نزّله على قلبك : نزل جبريل القرآن على قلب رسول الله ﷺ.
مصدقاً لما بين يديه : القرآن مصدق لما في الكتب السابقة من نعت الرسول ﷺ والبشارة به ومن التوحيد ووجوب الاسلام لله تعالى.
ميكال : ميكال وميكائيل: ملك من أعاظم الملائكة وقيل معناه عبيد الله.

معنى الآيات :

ما زال السياق الكريم فى الرد على اليهود وإبطال حججهم الواهية ففي الآية الأولى (٩٤) أمر الله تعالى الرسول ﷺ أن يقول لهم مباهلاً إياهم: إن كانت الدار الآخرة خالصة لكم لا يدخل الجنة معكم احد فتمنوا الموت لتدخلوا الجنة وتستريحوا من عناء الدنيا ومكابدة العيش فيها فإن لم تتمنوا ظهر كذبكم وثبت كفركم وأنكم أصحاب النار، وفعلاً ما تمنوا الموت ولو تمنوه لماتوا عن آخرهم.

وفي الآية الثانية (٩٥) أخبر تعالى أن اليهود لن يتمنوا الموت أبداً وذلك بسبب ما قدموه من الذنوب والخطايا العظام الموجبة لهم عذاب النار بأنهم مجرمون ظلمة والله عليم بالظالمين وسيجزيهم بظلمهم إنه حكيم عليم.

وفي الآية الثالثة (٩٦) يخبر الله تعالى أن اليهود أحرص الناس على الحياة حتى من المشركين الذين يود الواحد منهم أن يعيش ألف سنة، فكيف يتمنون الموت إذاً وهم على هذا الحال من الحرص على الحياة، وذلك لعلمهم بسوء مصيرهم إن هم ماتوا. كما يخبر تعالى أن الكافر لا ينجيه من العذاب طول العمر ولو عاش أكثر من ألف سنة، ثم هدد الله تعالى اليهود وتوعدهم بقوله ﴿والله بصير بما يعملون﴾ من الشر والفساد وسيجزيهم به.

---

(١) في جبريل وميكائيل لغات عدة، أشهرها جبريل وجبرائيل وجبرين - بالنون - وميكائيل، وميكال وميكئل وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبريل: عبدالله، وميكائيل، عبيد الله.

وفي الآية الرابعة (٩٧) يأمر تعالى رسوله أن يرد على اليهود قولهم: لو كان الملك الذي يأتيك بالوحي ميكائيل لآمنا بك، ولكن لما كان جبريل فجبريل عدونا لأنه ينزل بالعذاب، بقوله: ﴿قل من كان عدوا لجبريل﴾ فليمت غيظاً وحنقاً فإن جبريل هو الذي ينزل بالقرآن بإذن ربه على قلب رسوله مصدقاً ـ القرآن ـ لما سبقه من الكتب وهدى يهتدى به وبشرى يبشر به المؤمنون الصالحون.

وفي الآية الخامسة (٩٨) يخبر تعالى أن من يعاديه عز وجل ويعادي أولياءه[١] من الملائكة والرسل وبخاصة جبريل فإنه كافر، والله عدو له ولسائر الكافرين.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ صحة الإسلام، وبطلان اليهودية، وذلك لفشل اليهود في المباهلة بتمني الموت.

٢ـ المؤمن الصالح يفضل الموت على الحياة لما يرجوه من الراحة والسعادة بعد الموت.

٣ـ صدق القرآن فيما أخبر به عن اليهود من حرصهم على الحياة ولو كانت رخيصة ذميمة إذ هذا أمر مشاهد منهم إلى اليوم.

٤ـ عداوة الله تعالى للكافرين. ولذا وجب على المؤمن معاداة أهل الكفر لمعاداتهم لله، ومعاداة الله تعالى لهم.

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ[٢]
إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ[٣] ﴿٩٩﴾
أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ

(١) في صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب.

(٢) ذكر الطبري أن قوله تعالى: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات...﴾ إلى قوله ﴿الفاسقون﴾ نزل رداً على ابن صوريا اليهودي حيث قال للرسول ﷺ: ما جئتنا بشيء نعرفه وما أنزل عليك من آية بيّنة فنتبعك بها.

(٣) كابن صوريا واضرابه ممّن تعمدوا الخروج عن منهج الحق وهم يعلمون.

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ(١) فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ
كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

شرح الكلمات :

آيات بينات : هي آيات القرآن الكريم الواضحة فيما تدل عليه من معان.

يكفر بها : يجحد بكونها كتاب الله ووحيه الى رسوله محمد ﷺ.

الفاسقون : الخارجون عما يجب أن يكونوا عليه من الإيمان بالله والإسلام له ظاهراً وباطناً.

أو كلما عاهدوا : الهمزة للإستفهام الإنكاري والواو عاطفة على تقديره أكفروا بالقرآن ونبيه وكلما عاهدوا الخ . .

العهد : الوعد الملزم.

نبذه : طرحه وألقاه غير آبه به ولا ملتفت إليه.

رسول : التنكير للتعظيم والرسول هو محمد ﷺ، ومن قبله عيسى عليه السلام.

لما معهم : من نعتِ الرسول ﷺ وتقرير نبوته، وسائر أصول الدين في التوراة.

كتاب الله : التوراة(٢) لدلالتها على نبوة النبي محمد ﷺ وصحة دينه الإسلام.

وراء ظهورهم : أي أعرضوا عنه ولم يلتفتوا إليه لمنافاته لما هم معروفون عليه من الكفر بالنبي محمد ﷺ كأنهم لا يعلمون مع أنهم يعلمون حق العلم.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في تقرير نبوة رسول الله ﷺ وعموم رسالته والرد على اليهود وإظهار

---

(١) النبذ: الطرح والالقاء، ولذا سمي اللقيط منبوذاً، وسمي النبيذ نبيذاً لأنه طرح التمر والزبيب في الماء وعليه قول الشاعر:
نظرت إلى عنوانه فنبذته كنبذك نعلا من نعالكا

(٢) وجائز أن يكون القرآن الكريم، فقد نبذوه أيضاً بعد علمهم بأنه الحق مصدقاً لما معهم.

ما هم عليه من الفسق والكفر والظلم ففي الآية الأولى (٩٩) يرد تعالى على قول ابن صوريا اليهودي للرسول ﷺ ما جئتنا بشيء بقوله: ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ كالأعور بن صوريا اليهودي وفي الآية الثانية (١٠٠) ينكر الحق سبحانه وتعالى على اليهود كفرهم ونبذهم للعهود والمواثيق وليسجل عليهم عدم إيمان أكثرهم بقوله: ﴿بل أكثرهم لا يؤمنون﴾. وفي الآية الثالثة (١٠١) ينعى البارىء عز وجل على علماء اليهود نبذهم للتوراة لما رأوا فيها من تقرير نبوة محمد ﷺ وإثباتها فقال: ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ[1] فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم[2] كأنهم لا يعلمون﴾.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ الفسق العام ينتج الكفر، إن العبد إذا فسق[3] وواصل الفسق عن أوامر الله ورسوله سيؤدي به ذلك إلى أن ينكر ما حرم الله وما أوجب فيكفر لذلك والعياذ بالله.

٢ـ اليهود لا يلتزمون بوعد ولا يفون بعهد، فيجب أن لا يوثق في عهودهم أبداً.

٣ـ التوراة أحد كتب الله عز وجل المنزلة أنزلها على عبده ورسوله موسى بن عمران عليه السلام.

٤ـ قبح جريمة من تنكّر للحق بعد معرفته، ويصبح وكأنه جاهل به.

وَاتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟[4] ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ

---

(١) قال السدي في تفسير هذه الآية: لما جاءهم محمد ﷺ عارضوه بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف، وسحر هاروت وماروت فلم توافق القرآن. فهذا معنى: ﴿ولمّا جاءهم...﴾ الخ.

(٢) الظهور: جمع ظهر ويجمع على ظهران يقال لمن أعرض عن شيء رماه وراء ظهره.

(٣) الفسق: مشتق من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها، وبه سميت الفأرة فويسقة لخروجها من جحرها على أهل الدّار.

(٤) اشتهر بين علماء السلف أن ما تتلوه الشياطين على عهد ملك سليمان كان سببه أن مردة من الشياطين كتبوا كتاباً ضمنوه الكثير من ضروب السحر والشعوذة والأباطيل ونسبوه إلى كاتب سليمان وهو آصف ودفنوه تحت كرسي سليمان حين ابتلى بنزع ملكه ولما مات سليمان أخرج الكتاب شياطين الجن بالتعاون مع شياطين الإنس وأعلنوا في الناس أن سليمان كان ساحراً وما غلب الجن والإنس إلاّ بالسحر فصدقهم أناس وكذّب آخرون ولما بُعث محمد ﷺ وكفر به اليهود وتنكروا للتوراة لاتفاقها مع القرآن أنزل الله تعالى قوله: ﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين﴾ فبرأ سليمان وكفّر اليهود.

سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ
ٱلسِّحْرَ(1) وَمَآ أُنزِلَ(2) عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ
وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ
فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ
وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ
مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ
مَا لَهُۥ فِي ٱلْأٓخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ
أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ
وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ
﴿١٠٣﴾

شرح الكلمات :

ما تتلوا الشياطين : الذي تتبعه وتقول به الشياطين من كلمات السحر.

على ملك سليمان : على عهد ملك سليمان ووقت حكمه.

الشياطين : جمع شيطان وهو من خبث وتمرد ولم يبق فيه قابلية للخير.

---

(1) قيل: السحر مشتق من قولهم سحرت الصبي إذا خدعته أو عللته بشيء، ومنه قول الشاعر:

أرانا موضعين لأمر غيب ... ونسحر بالطعام وبالشراب

يريد أن الناس مسرعون إلى الموت وهم مخدوعون بالطعام وبالشراب.

(2) لم يكن انزالاً بمعنى الوحي الإلهي ولكن كان إلهاما لهما فبرعا فيه وتفوقا على غيرهما.

السحر [1] : هو كل ما لطف مأخذه وخفي سببه مما له تأثير على أعين الناس أو نفوسهم أو أبدانهم.

هاروت وماروت : ملكان وجدا للفتنة.

فلا تكفر : لا تتعلمْ منا السحر لتضر به فتكفرْ بذلك.

بين المرء وزوجه : بين الرجل وامرأته.

اشتراه : اشترى السحر بتعلمه والعمل به.

الخلاق : النصيب [2] والحظ.

ما شروا : ما باعوا به أنفسهم.

لمثوبة : ثواب وجزاء.

معنى الآيتين :

مازال السياق الكريم في بيان ما عليه اليهود من الشر والفساد ففي الآية الأولى (١٠٢) يخبر تعالى أن اليهود لما نبذوا التوراة لتقريرها بنبوة محمد ﷺ وتأكيدها لصحة دينه اتبعوا الأباطيل والترهات التي جمعها شياطين الإنس والجن في صورة رُقىً وعزائم وكانوا يحدثون بها، ويدّعون أنها من عهد سليمان بن داود عليهما السلام وأنها هي التى كان سليمان يحكم بها الإنس والجن، ولازم هذا أن سليمان لم يكن رسولاً ولا نبياً وإنما كان ساحراً كافراً فلذا نفى الله تعالى عنه ذلك بقوله: ﴿وما كفر سليمان﴾ وأثبته للشياطين فقال: ﴿ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر﴾. كما يعلمونهم ما أُلهِمَهُ الملكان هاروت وماروت [3] ببابل العراق من ضروب السحر وفنونه وهنا أخبرنا تعالى عن ملكى الفتنة أنهما يقولان لمن جاءهما يريد تعلم السحر: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلمك السحر وهذا القول منهما يفهم منه

---

(١) حصر بعضهم أصول السحر في ثلاثة هي:

١- زجر النفوس بمقدمات توهيمية وارهابية بما اعتاده الساحر من التأثير النفساني في نفس المسحور الضعيف روحا المستعد لقبول التأثير ويشهد لهذا قوله تعالى ﴿سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾

٢- استخدام مؤثرات من خصائص الأجسام من حيوان ومعادن كالزئبق وسائر العقاقير المؤثرة ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿إنّما صنعوا كيد ساحر﴾.

٣- الشعوذة باستخدام خفايا الحركة والسرعة حين يخيَّل أنّ الجماد يتحرك. ويشهد لهذا قوله تعالى: ﴿يخيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾ الآية.

(٢) الحظ والنصيب من الخير خاصة لقوله ﷺ: «إنّما يلبس هذا من لا خلاق له».

(٣) الملكان وهما هاروت وماروت ذكر قصَتهما علماء السلف ورواها مثل أحمد وعبدالرزاق وابن أبي حاتم وابن جرير وخلق كثير ولم يصحّ فيها حديث عن النبي ﷺ ولكنها مروية عن ابن عمر، وابن عباس وعلي رضي الله عنهم ولعلها مروية عن كعب الأحبار، وفي الآيات عبارة وإشارة ولا مانعا شرعا ولا عقلا من هذه القصة، ومفادها أن الملائكة انكروا على بني آدم =

بوضوح أن أقوال الساحر وأعماله التي يؤثر بها على الناس منها ما هو كفر في حكم الله وشرعه قطعاً.

كما أخبر تعالى في هذه الآية أن ما يتعلمه الناس من الملكين إنما يتعلمونه ليفرقوا بين الرجل وامرأته، وأن ما يحدث به من ضرر هو حاصل بإذن الله تعالى حسب سنته في الأسباب والمسببات، ولو شاء الله أن يوجد مانعاً يمنع من حصول الأمر بالضرر لفعل وهو على كل شيء قدير. فبهذا متعلموا السحر بسائر أنواعه إنما هم يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم. وفي آخر الآية يقرر تعالى علم اليهود بكفر الساحر ومتعلم السحر ومتعاطيه حيث أخبر تعالى أنهم لا نصيب لهم في الآخرة من النعيم المقيم فيها فلذا هم كفار قطعاً.

وأخيراً يقبح تعالى ما باع به اليهود أنفسهم، ويسجل عليهم الجهل بنفي العلم إذ قال تعالى: ﴿ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾.

وفي الآية الثانية (١٠٣) يفتح تعالى على اليهود باب التوبة فيعرض عليهم الإيمان والتقوى فيقول: ﴿ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون﴾.

هداية الآيتين:

من هداية الآيتين:

١ـ الاعراض عن الكتاب والسنة لتحريمهما الشر والفساد والظلم يفتح أمام المعرضين أبواب الباطل من القوانين الوضعية، والبدع الدينية، والضلالات العقلية قال تعالى: ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل (سبيل السّعادة والكمال) ويحسبون أنهم مهتدون﴾.

٢ـ كفر[1] الساحر وحرمة تعلم السحر، وحرمة استعماله.

ـــــــــــــــــ

= ما يرتكبون من الذنوب والمعاصي ويعجبون من ذلك فأمرهم تعالى أن يختاروا ملكين منهم ويركب فيهم غرائز بني آدم ويكلفهم وينزلهم إلى الأرض يعبدون الله كبني آدم ثم ينظرون هل يعصون الله أو لا يعصونه فلما نزلا إلى الأرض ارتكبا كبائر الذنوب فخيرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا فجعلا في بابل يعلمان الناس السحر فإذا أتاهما من يريد ذلك نصحا له بأن تعلم السحر كفر فإذا أصرّ وجّهاه إلى شيطان فأتاه فعلمه كيفية السحر وما يصل إليها إلا بعد أن يكفر أفظع أنواع الكفر.

(١) اختلف هل للسحر حقيقة أو هو مجرد خداع لا أصل له. أهل السنة والجماعة أنّ له حقيقة وهو أنواع عديدة وحكمه أن من تعاطاه إذا أضرّ به فأفسد عقلا أو عضوا أو قتل فإنه يقتل بذلك وإلاّ فإنه يعزر حتى يتوب منه، ويشهد لمذهب الجمهور أن النبي ﷺ سحره لبيد بن الأعصم وأنزل الله تعالى سورة الفلق فرقاه بها جبريل فشفي وقال: إن الله شفاني. والحديث في البخاري وغيره.

٣ـ الله تعالى خالق الخير والضير ولا ضرر ولا نفع إلا بإذنه[1] فيجب الرجوع إليه في جلب النفع، ودفع الضر بدعائه والضراعة إليه.

٤ـ العلم المبهم كالظن الذي لا يقين معه لايغير من نفسية صاحبه شيئاً فلا يحمله على فعل خير ولا على ترك شر بخلاف الرسوخ في العلم فإن صاحبه يكون لديه من صادق الرغبة وعظيم الرهبة ما يدفعه إلى الإيمان والتقوى ويجنبه الشرك والمعاصي. وهذا ظاهر في نفي الله تعالى العلم عن اليهود في هاتين الآيتين.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

شرح الكلمات:

راعنا: أمهلنا وانظرنا حتى نعي ما تقول.

انظرنا: أمهلنا حتى نفهم ما تقول ونحفظ.

الكافرين: الجاحدين المكذبين لله ورسوله المستهزئين بهما أو بأحدهما.

أليم: كثير الألم شديد الإيجاع.

من أهل الكتاب ولا المشركين: اليهود والنصارى والوثنيين من العرب وغيرهم.

من خير من ربكم: من الوحي الإلهي المشتمل على التشريع المتضمن لكل أنواع الهداية وطرق الإسعاد والإكمال في الدارين.

---

(١) ذكر القرطبي أن ابن بطال قال: في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ المسحور سبع ورقات من سدر أخضر فيدقها بين حجرين ثم يخلطها بالماء ويقرأ عليها آية الكرسي ثم يحسو منها ثلاث حسيات ويغتسل به فإنه يذهب عنه كل ما ألم إن شاء الله تعالى.

الفضـــــل : ما كان من الخير غير محتاج إليه صاحبه، والله عز وجل هو صاحب الفضل إذ كل ما يمن به ويعطيه عباده من الخير هو في غنى عنه ولا حاجة به إليه أبداً.

معنى الآيتين :

أما الآية الأولى (١٠٤) فقد أمر الله تعالى المؤمنين أن يُراعوا الأدبَ[1] في مخاطبة نبيّهم ﷺ تجنباً للكلمات المشبوهة ككلمة راعنا، إذ قد تكون من الرعونة، ولما تدل عليه صيغة المفاعلة إذ كأنهم يقولونِ راعنا نُرَاعِكَ، وهذا لا يليق أن يخاطب به الرسول ﷺ.

وأرشـدهم تعـالى إلى كلمة سليمة من كل شبهة تنافي الأدب وهي انظرنا[2]، وأمرهم أن يسمعوا لنبيّهم إذا خاطبهم حتى لا يضطروا إلى مراجعته؛ إذ الاسْتِهْزَاءُ بالرسول والسخرية منه ومخاطبته بما يفهم الاستخفاف بحقه وعلوّ شأنه وعظيم منزلته كفر بواح.

وفي الآية الثانية (١٠٥) أخبر تعالى عباده المؤمنين بأن الكافرين من أهل الكتاب ومن غيرهم من المشركين الوثنيين لا يحبون أن يُنزل عليكم من خير من ربكم وسواء كان قرآناً يحمل أسمى الآداب وأعظم الشرائع وأهدى سبل السعادة والكمال، أو كان غير ذلك من سائر أنواع الخيرات، وذلك حسداً منهم للمؤمنين كما أخبرهم أنه تعالى يختص برحمته من يشاء من عباده فحسد الكافرين لكم لا يمنع فضل الله عليكم ورحمته بكم متى أرادكم بذلك.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ وجوب التأدب مع رسول الله ﷺ في مخاطبته.بعدم استعمال أي لفظة قد تفهم غير الإجلال والإكبار له ﷺ.

٢ـ وجوب السماع لرسول الله بامتثال أمره واجتناب نهيه، وعند مخاطبته لمن أكرمهم الله تعالى بمعايشته والوجود معه.

---

(١) سبب نزول هذه الآية: ﴿يا أيها الذين...﴾ الخ أن اليهود استغلوا كلمة راعنا وصاروا يقولونها لرسول الله ﷺ وهم ينوون بها سبّ رسول الله ﷺ لوجود كلمة في العبرية مثلها ومعناه السبّ والشتم كالرعونة فأنزل الله هذه الآية أرشد فيها المسلمين إلى ترك كلمة راعنا وابدالها بانظرنا فانقطع الطريق عن اليهود لعنهم الله.

(٢) معنى انظرنا: هو معنى راعنا ولكن لما استعملها اليهود وصاروا ينوون بها سب النبي ﷺ لأنها عندهم من الرعونة لذلك أرشد الله المسلمين إلى كلمة انظر.

٣ـ التحذير[1] من الكافرين كتابيين أو مشركين لأنهم أعداء حسدة للمؤمنين فلا يحل الركون إليهم والإطمئنان إلى أقوالهم وأفعالهم ، إذ الريبة لا تفارقهم .

۞ مَا نَنسَخْ[2] مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن[3] دُونِ ٱللَّهِ مِن
وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ[4] أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ
كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

شرح الكلمـات :

نـنـسـخ : نبـدّل أو نزيـل .

مـن آيـة : من آيات القرآن : جملة كلمات تحمـل معنى صحيحاً كالتحريم أو التحليل، أو الإباحة .

ننسـهـا : نمحها من قلب النبي ﷺ .

ألـم تعلـم : الاستفهام للتقـرير.

ولـيّ : حـافظ يحفظكـم بتولي أموركم .

---

(١) في هذه الآية ارشاد المسلمين إلى عدم مشابهة الكافرين في القول والعمل وحتى في الزي واللباس ويشهد لهذا رواية أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري ومن تشبّه بقوم فهو منهم» .

(٢) معرفة الناسخ والمنسوخ ضرورية للعالم . روي أن عليا رضي الله عنه أرسل إلى رجل كان يخوف الناس في المسجد فجاءه فقال له : أتعرف الناسخ من المنسوخ؟ فقال : لا ، قال : فاخرج من مسجدنا ولا تذكر فيه . وعن ابن عباس مثله وقال له : هلكت وأهلكت .

(٣) مِنْ لابتداء الغاية والثانية وهي ﴿مِنْ وليٍّ ولا نصير﴾ صلة .

(٤) أم هنا : هي المنقطعة بمعنى . بل الإضرابية .

نصـــــير : ناصر يدفع عنكم المكـروه.

أم تريـــدون : بل أتريدون، إذ أم هنا للإضراب الانتقالي فهي بمعنى بل والهمزة، وما سئله موسى هو قول بني إسرائيل له : (أرنا الله جهرة).

سـواء السـبيل : وسط الطريق الآمن من الخروج عن الطريق.

معنى الآيـات :

يخبر تعالى راداً على الطاعِنين في تشريعه الحكيم الذين قالوا إن محمداً يأمر أصحابه[1] اليوم بأمر وينهى عنه غداً أنه تعالى ما ينسخ من آية تحمل حكمًا شاقاً على المسلمين إلى حكم أخف كنسخ الثبوت لعشرة في قتال الكافرين إلى الثبوت إلى إثنين. أو حكمًا خفيفاً إلى شاق زيادة في الأجر كنسخ يوم عاشوراء بصيام رمضان، أو حكمًا خفيفاً إلى حكم خفيف مثله كنسخ القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، أو حكمًا إلى غير حكم آخر كنسخ صدقة من أراد أن يناجى رسول الله ﷺ فإن الحكم رفع ولم يشرع حكم آخر بدلاً عنه، أو نسخ الآية بإزالتها من التلاوة ويبقى حكمها كآية الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله فقد نسخ اللفظ من التلاوة وبقي الحكم. أو بنسخ الآية وحكمها. وهذا معنى قوله أو ننسها وهي قراءة نافع، فقد ثبت أن قرآناً نزل وقرأه رسول الله ﷺ وبعض أصحابه ثم نسخه الله تعالى لفظاً ومعنى فمحاه من القلوب بالمرة فلم يقدر على قراءته أحد. وهذا مظهر من مظاهر القدرة الإلهية الدال عليه قوله: ﴿ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير﴾، وهو أيضاً مظهر من مظاهـر التصرف الحكيم الـدال عليه قولـه: ﴿ألم تعلم أن الله له ملك السمـوات والأرض﴾ فهو تعالى يتصرف فينسخ ويبقي ويأتي بخير مما نسخ أو بمثله بحسب حاجة الأمة ومتطلبات حياتها الروحية والمادية. فسبحانه من إله قدير حكيم: ينسي ما يشاء وينسخ ما يريد.

أما قوله تعالى في آية (١٠٨): ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم[2]﴾، فهو توبيخ لمن طالب

(١) في الكلام إشارة إلى سبب نزول هذه الآيات والمراد بالذين قالوا إن محمداً.. الخ هم اليهود، واليهود ينفون وجود النسخ في الشرائع وهم مخطئون في ذلك خطأ كبيراً، إذ قد أباح الله تعالى لآدم أن يُنكح بناته بنيه فترة من الزمن ثمّ نسخ ذلك، وأباح لنوح أكل سائر الحيوان بعد نزوله من السفينة ثم نسخ ذلك. كما أوحي الله إلى ابراهيم أن يذبح ولده ثم نسخ ذلك إذ فداه بذبح عظيم قبل الذبح وهذا نسخ للأمر قبل فعله.

(٢) قوله تعالي: ﴿كما سئل موسى من قبل...﴾ معنى سؤال بني اسرائيل موسى بأن يريهم الله جهرة أي مواجهة بعد أن سمعوا كلامه، كما سألوه غير هذا تعنتا وجهلا بمقام الرسول موسى عليه السلام ولذا حذر الله المؤمنين من مثل هذه المواقف القبيحة.

الرسول ﷺ بأمور ليس في مكنته، وإعلام بأن من يجري على أسلوب التعنت وسوء الأدب مع الرسول ﷺ قد يصاب بزيغ القلب فيكفر، دلّ على هذا قوله تعالى: ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾.

هداية الآيـات :

من هداية الآيـات :

١ـ ثبوت النسخ في القرآن الكريم، كما هو ثابت في السنة، وهما أصل التشريع ولا نسخ في قياس ولا إجماع.

٢ـ رأفة الله تعالى بالمؤمنين في نسخ الأحكام وتبديلها بما هو نافع لهم في دنياهم وآخرتهم.

٣ـ وجوب التسليم لله والرضا بأحكامه، وعدم الاعتراض عليه تعالى.

٤ـ ذم التنطع في الدين وطرح الأسئلة المحرجة(١) والتحذير من ذلك.

وَدَّ كَثِيرٌ(٢) مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا(٣)
مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم(٤) مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟(٥)
وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
(١٠٩) وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم

---

(١) روى مسلم أن النبي ﷺ قال: «هلك المتنطعون» وفسر بالمتعنتين في السؤال عن عويص المسائل التي يندر وقوعها.

(٢) مناسبة هاتين الآيتين لما قبلهما ظاهرة، وهي أنه لما حذّر تعالى المؤمنين من مسلك اليهود مع أنبيائهم في الأسئلة المحرجة المتعنتة أعلمهم أن اعداءهم من اليهود يودون لهم الكفر بعد إيمانهم حسداً لهم وعلى رأس هؤلاء كعب بن الأشرف وحيي بن أخطب وأبو ياسر وغيرهم كما أن ابن أبيّ وجماعة من سكان المدينة كانوا يعملون جاهدين على صرف من آمن عن إيمانه ولما لم يحن الوقت للقتال أمرهم تعالى بالصفح والعفو والاعداد حتى يأتي الأمر بالقتال.

(٣) الحسد ثلاثة أنواع: وهي تمني زوال نعمة عمن هي به، وتمني زوالها ولو لم تحصل لمتمنيها وهذا شرّ وأقبح من الأول وهما محرمان لما فيهما من تسفيه المنعم عز وجل إذ الحاسد معترض على قسمة الله وعطائه عباده ما شاء. وتمني حصول نعمة كالتي حصلت لغيره وهذا مباح ولبس حراما ويشهدُ له حديث الصحيح: «لا حسد إلا في اثنتين» الحديث ويسمى غبطة.

(٤) جملة: ﴿من عند أنفسهم﴾ تأكيد لمضمون التي قبلها. ومنه قوله تعالى: ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم ويقولون بأفواههم﴾.

(٥) فاعفوا: أصلها فاعفووا، حذفت الضمّة للثقل، وحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت فاعفوا.

مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ



شرح الكلمات :

ودّ : أحب.

أهل الكتاب : اليهود والنصارى.

حسداً : الحسد تمني زوال النعمة على من هي به.

تبين لهم الحق : عرفوا أن محمداً رسول الله وأنَّ دينه هو الدين الحق.

فاعفوا واصفحوا : لا تؤاخذوهم ولا تلوموهم، إذ العفو ترك العقاب والصفح الإعراض عن المذنب.

حتى يأتي الله بأمره : أي الإذن بقتالهم والمراد بهم يهود المدينة وهم بنو قينقاع وبنو النضير، وبنو قريظة.

وأقيموا الصلاة : إقامة الصلاة أداؤها في أوقاتها مستوفاة الشروط والأركان والسنن.

وآتوا الزكاة : أعطوا زكاة أموالكم وافعلوا كل ما من شأنه يزكي أنفسكم من الطاعات.

معنى الآيتين :

في الآية الأولى (١٠٩) يخبر تعالى المؤمنين بنفسيّة كثير من أهل الكتاب وهي الرغبة الملحة في أن يتخلى المسلمون عن دينهم الحق ليصبحوا كافرين ومنشأ هذه الرغبة الحسد الناجم عن نفسية لا ترغب أن ترى المسلمين يعيشون في نور الإيمان بدل ظلمات الكفر، وبعد أن أعلم عباده المؤمنين بما يضمر لهم أعداؤهم، أمرهم بالعفو[1] والصفح لأن الوقت لم يحن بعد لقتالهم فإذا حان الوقت قاتلوهم وشفوا منهم صدورهم.

وفي الآية الثانية (١١٠) أمر الله تعالى المؤمنين بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل[2] الخيرات

(١) هذا العفو والصفح نسخ بالإذن بقتال اليهود وإجلائهم وبقي العفو على المسلم والصفح عنه إذا أساء إلى أخيه المسلم لجهالة به فإنه محمود قال تعالى: ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾. وقال رسوله: «من غفر غُفر له».
(٢) فعل الخيرات هنا مستفاد من قوله تعالى في الآية: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله﴾.

تهذيباً لأخلاقهم وتزكية لنفوسهم وواعدهم بحسن العاقبة بقوله: ﴿إن الله[1] بما تعملون بصير﴾.

هداية الآيتين :

من هداية الآيتين :

١ـ اليهود والنصارى يعلمون أن الإسلام حق وأن المسلمين على حق فحملهم ذلك على حسدهم ثم عداوتهم، والعمل على تكفيرهم. . وهذه النفسية ما زالت طابع أهل الكتاب إزاء المسلمين إلى اليوم.

٢ـ في الظرف الذي لم يكن مواتياً للجهاد على المسلمين أن يشتغلوا فيه بالإعداد للجهاد، وذلك بتهذيب الأخلاق والأرواح وتزكية النفوس بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وفعل الخيرات إبقاء على طاقاتهم الروحية والبدنية إلى حين يؤذن لهم بالجهاد.

٣ـ تقوية الشعور[2] بمراقبة الله تعالى ليحسن العبد نيته وعمله.

وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ
تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُواْ[3] بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ
صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ
فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾
وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ
لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ كَذَٰلِكَ قَالَ
ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾

---

(١) مثل هذه الجملة المذيَّل بها الكلام تكون للترغيب كما هنا وتكون للترهيب أي تصلح للوعد والوعيد.

(٢) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿إن الله بما تعملون بصير﴾.

(٣) في الآية دليل على بطلان التقليد وهو قبول قول الغير بلا دليل، وفي الآية أن من ادعى شيئا نفيا أو إثباتا يطالب بالدليل بطلت دعواه.

شرح الكلمات :

الجنـــــة : دار النعيم وتسمى دار السلام وهي فوق السماء السابعة.

هـــــوداً(1) : يـــهوداً.

نصـــــارى : صليبين مسيحيين.

أمانيـــــهم(2) : جمع أمنية ما يتمناه المرء بدون ما يعمل للفوز به، فيكون غروراً.

البرهـــــان : الحجة الواضحـة.

بلـــــى : حرف إجابة يأتي بعد نفي مقرون باستفهام(3) غالباً نحو قوله تعالى: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾؟ بلى أي هو أحكم الحاكمين، ولما ادعى اليهود والنصارىٰ أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً أو نصرانياً قال تعالى: بلىٰ أي ليس الأمر كما تزعمون فلا يدخل الجنة يهودي ولا نصراني ولكن يدخلها من أسلم وجهه لله وهو محسن أي عبد آمن فصدق وعمل صالحاً فأحسن.

ليست على شيء: أي من الديـن الحق.

يتلون الكتاب : أي التـوراة والإنجيل.

الذين من قبلهم : هذا اللفظ صادق على مشركي العرب، وعلى غيرهم من أمم جاهلة سبقت.

سبب نزول الآيتين ومعناهما:

لما جاء وفد نصارىٰ نجران إلى المدينة التقى باليهود في مجلس النبي ﷺ ولعدائهم السابق تَمَارَوْا فادعت اليهود أن الجنة لا يدخلها إلا من كان يهودياً، وادعت النصارىٰ أن الجنة لا يدخلها إلا من كان نصرانياً فرد الله تعالى عليهم وأبطل دعواهم حيث طالبهم بالبرهان عليها فلم يقدروا وأثبت تعالى دخول الجنة لمن زكىٰ نفسه بالإيمان الصحيح والعمل الصالح

---

(1) هورجمع هائد أي: متبع اليهودية ومثله عوذ جمع عائذ وهي الحديثة النتاج من الظباء والإبل والخيل.
(2) ما تمناه اليهود وأشير إليه هنا بقوله: ﴿تلك أمانيهم﴾ هو أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم وأن يردوهم كفارا، وأن يدخلوا الجنة وحدهم دون غيرهم.
(3) ومن غير الغالب قوله تعالى: ﴿أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلىٰ﴾ فقد أجيب بها ولم يتقدمها نفي مقرون باستفهام، ومنه هذه الآية: ﴿بلى من أسلم وجهه﴾.

فقال: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾ يريد قلبه وجوارحه[1] فآمن ووحد وعمل صالحاً فأحسن فهذا الذي يدخل الجنة وهي أجره على إيمانه وصالح أعماله، فلا هو يخاف ولا يحزن.

هذا معنى الآيتين الأولى (١١١) والثانية (١١٢) وأما الآية الثالثة (١١٣) فقد سجلت كفر كل من اليهود والنصارى، بشهادتهم على بعضهم بعضاً فقد كفرّ اليهود النصارى بقولهم: إنهم ليسوا على شيء من الدين الحق الذي يعتد به ويؤبه له، وكفرّ النصارى اليهود بقولهم: ليست اليهود على شيء مع أنهم يقرأون التوراة والإنجيل فلذا كان تكفيرهم لبعضهم البعض حقاً وصدقاً. ثم أخبر تعالى أن ما وقع فيه اليهود والنصارى وهم أهل كتاب من الكفر والضلال قد وقع فيه أمم قبلهم دون علم منهم وذلك لجهلهم، وأخبر تعالى أنه سيحكم بينهم يوم القيامة ويجزيهم بكفرهم وضلالهم.

هداية الآيات:

من هداية الآيات:

١- إبطال تأثير النسب[2] في السعادة والشقاء، وتقرير أن السعادة بدخول الجنة مردها إلى تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وإن الشقاوة بدخول النار مردها إلى الشرك، وارتكاب الذنوب. فلا نسبة إلى يهودية أو نصرانية أو غيرهما تُغني عن صاحبها، وإنما المغني بعد فضل الله ورحمته الإيمان والعمل الصالح بعد التخلي عن الشرك والمعاصي.

٢- كفر اليهود والنصارى وهو شر كفر لأنه كان على علم.

٣- الإسلام[3] الصحيح القائم على أسسه الثلاثة الإيمان والإسلام والإحسان هو سبيل النجاة من النار والفوز بالجنة.

---

(١) أي ذاته إذ طاعة الله تعالى تكون بها قلبا وجوارح، ومن إطلاق الوجه على الذات قول الشنفرى:

إذا قطعوا رأسي وفي الرأس أكثري   وغودر عند الملتقى ثمّ سائري

قوله وفي الرأس أكثري فيه تفضيل الرأس الذي هو بمعنى الوجه على سائر الجسد لأفضليته فكذلك إطلاق الوجه في الآية وإرادة الذات، لأنّ الوجه أشرف الذات.

(٢) ويشهد لهذا قول الرسول ﷺ في صحيح مسلم: «ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» الحديث.

(٣) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن..﴾ الآية.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ
ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ
لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ
وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ
فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾

شـــرح الكلـمات :

ومـن أظلـم : الاستفهام للإنكار والنفي، والظلم وضع الشيء في غير محله مطلقاً.

سعى[1] في خرابها : عمل في هدمها وتخريبها حقيقة أو بمنع الصلاة فيها وصرف الناس عن التعبد فيها إذْ هذا من خرابها أيضاً.

الخـــزي : الذل والهـوان.[2]

فثم وجـه الله : هناك الله تعالى إذ الله عز وجل محيط بخلقه فحيثما اتجه العبد شرقاً أو غرباً شمالاً أو جنوباً وجد الله تعالى، إذ الكائنات كلها بين يديه وكيف لايكون ذلك وقد أخبر عن نفسه أن الأرض قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه، فليس هناك جهة تخلو من علم الله تعالى وإحاطته بها وقدرته عليها. ويقرر هذا قوله: ﴿إن الله واسع عليم﴾، إنه واسع الذات والعلم والفضل والجود والكرم عليم بكل شيء لأنه محيط بكل شيء.

شـرح الآيتين :

ففي الآية الأولى (١١٤) ينفي تعالى أن يكون هناك من هو أكثر ظلماً ممن منع مساجد[3] الله تعالى أن يعبد الله تعالى فيها، لأن العبادة هي علة الحياة فمن منعها كان كمن أفسد

---

(١) أصل السعي: المشي ومنه السعي بين الصفا والمروة وهو المشي بينهما ثم أطلق على التسبب مطلقا يقال: سعى فلان في مصلحتك وسعي فلان في الإفساد بين فلان وفلان

(٢) وقد نال صناديد قريش حيث أذلّهم الله وأخزاهم يوم الفتح على يد رسول الله ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم.

(٣) المساجد: جمع مسجد بكسر الجيم على غير قياس إذ فعل بالفتح بفعل بالضم الاسم منه كالمصدر مفعل بالفتح ونظير المسجد المطلع والمشرق والمسكن والمرفق والمسجَد بالفتح جبهة المرء وأعضاء سجوده السبعة.

الحياة كلها وعطلها، وفي نفس الوقت ينكر تعالى هذا الظلم على فاعليه وسواء كانوا قريشاً بصدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام، أو فلطيوس ملك الروم الذى خرّب المسجد الأقصى[1] أو غيرهم ممن فعلوا هذا الفعل أو من سيفعلونه مستقبلاً، ولذا ضمن تعالى قوله ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين، أمر المسلمين بجهاد الكافرين وقتالهم حتى يسلموا أو تكسر شوكتهم فيذلوا ويهونوا.

وفى الآية الثانية (١١٥) يخبر تعالى راداً على اليهود الذين انتقدوا أمر تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، مؤذناً بجواز صلاة من جهل القبلة أو خفيت عليه إلى أي جهة كانت فأخبر تعالى أن له المشرق والمغرب[2] خَلقاً وملكاً وتصرفاً، يوجه عباده إلى الوجهة التي يشاؤها شرقاً أو غرباً جنوباً أو شمالاً، فلا اعتراض عليه ولا إنكار وأنّ الله تعالى محيط بالكائنات فحيثما توجه العبد فى صلاته فهو متوجه إلى الله تعالى، إلا أنه تعالى أمر بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة فمن عرف جهتها لا يجوز له أن يتجه إلا إليها.

هدايـة الآيـات :

من هداية الآيـات :

١ـ عظم جريمة من يتعرض للمساجد بأي أذىً[3] أو إفساد.

٢ـ وجوب حماية المساجد من دخول الكافرين إلا أن يدخلوها بإذن المسلمين وهم أذلاء صاغرون.

٣ـ صحة صلاة النافلة على المركوب في السفر[4] إلى القبلة وإلى غيرها.

٤ـ وجوب استقبال القبلة إلا عند العجز[5] فيسقط هذا الواجب.

٥ـ العلم بإحاطة الله تعالى بالعوالم كلها قدرة وعلما فلا يخفى عليه من أمر العوالم شيء ولا يعجزه آخر.

---

(١) وقد خرّب بيت المقدس أيضاً بختنصر اليهودي البابلي قبل النصارى.
(٢) بناء على كروية الأرض فإن الأرض كلها مشرق ومغرب إذ كل مكان تشرق فيه هو مكان تغرب فيه.
(٣) من عظم ذنب من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه أخذ المالكية أن المرأة الصرورة التي لم تحج الفرض لا تمنع من الحج وإن لم يكن معها محرم، وعدّوا منعها من أداء الفريضة من الصدّ عن المسجد الحرام.
(٤) إذ صحّ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يصلي النافلة على راحلته حيثما اتجهت به القبلة وإلى غيرها.
(٥) للعجز صور منها: أن يكون مريضاً لا يقدر على التحول، ومنها أن يكون خائفاً ومنها أن يكون مقاتلاً أو هارباً ومنها أن يكون جاهلاً بها فطلبها ولم يعرف فصلى حيث ترجح القبلة وإن لم يصبها.

وَقَالُواْ[1] ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ
وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ
لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا[2] يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ
قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ
قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

شرح الكلمات :

سبحانه : تنزه وتقدس عن كل نقص ومنه أن يكون له ولد.

قانتون : خاضعون مطيعون تجري عليهم أقداره وتنفذ فيهم أحكامه.

بديع السموات : مبدعها أي موجدها على غير مثال سابق.

قضى أمراً : حكم بإيجاده.

أو تأتينا آية : كآيات موسى وعيسى فى العصا وإحياء الموتى.

ولا تسأل : قرىء بالتاء للمجهول، ولا نافية والفعل مرفوع وقرىء بالبناء للمعلوم ولا ناهية والفعل مجزوم.

الجحيم : دركة من دركات النار وهي أشدها عذاباً.

معنى الآيات :

مازال السياق الكريم في ذكر أباطيل الكافرين من أهل الكتاب والمشركين والرد عليها بما يظهر زيفها ويبطلها نهائياً ففي الآيتين الأولى (١١٦) والثانية (١١٧) يذكر تعالى قول

---

(١) الضمير المرفوع في : ﴿قالوا﴾ عائد إلى الفرَق الثلاث وهم أهل الكتاب ومشركوا العرب.
(٢) لولا : بمعنى لعل التحضيضية.

أهل الكتاب والمشركين في أن الله اتخذ ولداً إذ قالت اليهود العزيرابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله وقال بعض مشركي العرب الملائكة بنات الله، ذكر تعالى قولهم اتخذ الله ولداً ثم نزّه[1] نفسه عن هذا القول الباطل والفرية الممقوتة[2]، وذكر الأدلة المنطقية العقلية على بطلان الدعوى.

فأولاً: مِلْكِيَّةُ الله تعالى لما في السموات والأرض، وخضوع[3] كل من فيهما لحكمه وتصريفه وتدبيره يتنافى عقلاً مع اتخاذ ولد منهم.

ثانياً: قدرة الله تعالى المتجلية في إبداعه السموات والأرض وفي قوله للشيء كن فيكون يتنافى معها احتياجه إلى الولد[4]، وهو مالك كل شيء وربّ كل شيء وفي الآية الثالثة (١١٨) يرد تعالى على قولة المشركين الجاهلين: ﴿لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية﴾ حيث اقترحوا ذلك ليؤمنوا ويوحدوا فأخبر تعالى أن مثل هذا الطلب طلبه مَنْ قَبْلَهُم فتشابهت قلوبهم في الظلمة والإنتكاس، فقد قال اليهود لموسى أرنا الله جهرة، أما رؤية الله وتكليمه إياهم فغير ممكن في هذه الحياة حياة الامتحان والتكليف ولذا لم يجب إليه أحداً من قبلهم ولا من بعدهم، وأما الآيات فما أنزل الله تعالى وَبَيَّنَهُ في كتابه من الآيات الدالة على الإيمان بالله ووجوب عبادته وتوحيده فيها، وعلى صدق نبيه في رسالته ووجوب الإيمان به واتباعه كاف ومغنٍ عن أية آية مادية يريدونها، ولكن القوم لكفرهم وعنادهم لم يروا في آيات القرآن ما يهديهم وذلك لعدم إيقانهم، والآيات يراها وينتفع بها الموقنون لا الشاكون المكذبون.

وفي الآية الرابعة (١١٩) يخفف تعالى على نبيّه هَمّ مطالبة المشركين بالآيات بأنه غير مكلف بهداية أحد ولا ملزم بإيمان آخر، ولا هو مسئول[5] يوم القيامة عمن يدخل النار من الناس، إذ مهمته محصورة في التبشير[6] والإنذار تبشير من آمن وعمل صالحاً بالفوز بالجنة

(١) وذلك بقوله ﴿سبحانه﴾ مصدر معناه التبرئة والتنزيه والمحاشاة.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: (كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياي فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان وأمّا شتمه إياي فقوله لي ولد فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا).

(٣) الخضوع هنا تفسير للقنوت، والقنوت يكون بمعنى الطاعة في ذلة وانكسار وخشوع كما هو في هذا السياق ويكون بمعنى السكوت كما في الصلاة كقوله تعالى: ﴿وقوموا لله قانتين﴾ أي لا تتكلموا في صلاتكم ويكون بمعنى الدعاء في الصلاة.

(٤) من الأدلة العقلية على إبطال فرية اتخاذ الله تعالى الولد: أن الولدية تقتضي التجانس، والله تعالى ليس كمثله شيء، وهو لا يجانسه شيء ثم الولد يتنافى مع الرق والملك والله له ملك السموات والأرض فكيف يكون الرقيق ولداً؟!

(٥) قرأ نافع وحده ﴿ولا تسأل﴾ بفتح التاء وسكون اللام في قوله: ﴿ولا تسأل عن أصحاب الجحيم﴾ وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ياليت شعري ما فعل أبواي فأنزل الله تعالى هذه الآية.

(٦) البشير كالنذير فعلهما بشر وأنذر واسم الفاعل: مبشر ومنذر، ونقل إلى بشير ونذير للمبالغة في الفعل.

والنجاة من النار، وإنذار من كفر وعمل سوءاً بدخول النار والعذاب الدائم فيها.

هداية الآيات :

من هداية الآيات :

١ـ حرمة نسبة أي شيء إلى الله تعالى بدون دليل من الوحي الإلهي إذ أنكر تعالى نسبة الولد إليه أنكره على أهل الكتاب والمشركين معا.

٢ـ تشابه قلوب أهل الباطل في كل زمان ومكان لاستجابتهم للشيطان وطاعتهم له.

٣ـ لا ينتفع بالآيات إلا أهل اليقين لصحة عقولهم وسلامة قلوبهم.

٤ـ على المؤمن أن يدعو إلى الله تعالى، وليس عليه أن يهدي، إذ الهداية بيد الله، وأما الدعوة فهي في قدرة الإنسان، وهو مكلّف بها.

﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ[1] قُلْ إِنَّ
هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ
مِنَ ٱلْعِلْمِ[2] مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ
ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾﴾

شرح الكلمات :

ملتهم : دينهم الذي هم عليه من يهودية ونصرانية.

قل ان الهدى هدى الله : الهدى ما أنزل به كتابه وبعث به رسوله وهو الإسلام، لا ما ابتدعه اليهود والنصارى من بدعة اليهودية والنصرانية.

---

(١) ملتهم: بمعنى مللهم إذ لكل كافر ملة، ومن هنا ذهب الجمهور إلى أن الكفر ملة واحدة، وذهب أحمد في رواية له ومالك إلى أن الكفر ملل، ولذا فلا يرث اليهودي النصراني، ولا النصراني اليهودي ولا المجوسي إذ لكلٍ ملّة وقال رسول الله ﷺ: «لا يتوارث أهل ملتين» ويبقى معنى الكفر ملة واحدة أي: إنّه ليس فيه فاضل، ومفضول.

(٢) روي أن أحمد استدل على كفر من قال بخلق القرآن بهذه الآية: ﴿من بعد ما جاءك من العلم﴾ وهو القرآن فمن قال بخلق القرآن قال بخلق علم الله تعالى وهو كفر صريح.

من ولي ولا نصير : الولي من يتولاك ويكفيك أمرك والنصير من ينصرك ويدفع عنك الأذى.

يتلونه حق تلاوته[1] : لا يحرفون كلمه عن مواضعه ولا يكتمون الحق الذي جاء فيه من نعت الرسول محمد ﷺ وغيره.

أولئك هم الخاسرون : المشار إليهم كفار أهل الكتاب والخسران خسران الدنيا والآخرة.

معنى الآيتين :

مازال السياق في أهل الكتاب يكشف عوارهم ويدعوهم إلى الهدى لو كانوا يهتدون ففي الآية الأولى (١٢٠) يخبر تعالى رسوله وأمته تابعة له أن اليهود والنصارى لن يرضوا عنه حتى يتبع ملتهم الباطلة وهي اليهودية أو النصرانية، وفي هذا نهى عن اتباعهم ثم أمره أن يخبرهم أن الهدى هدى[2] الله الذي هو الإسلام وليس اليهودية ولا النصرانية إذ هما بدعتان من وضع أرباب الأهواء والأطماع الماديّة.

ثم يحذر الله رسوله وأمته من اتباع اليهود والنصارى بعد الـذي جاءهم مـن العـلم والنعمة التي أتمها عليهم وهي الإسلام فيقول: ﴿ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير﴾.

وفي الآية الثانية (١٢١) يخبر تعالى أن الذين آتاهم الله الكتاب التوراة والإنجيل فكانوا يتلونـه حق تلاوته فلا يحرفون ولا يكتمون هؤلاء يؤمنون بالكتاب حق الإيمان أما الذين يحرفـون كلام الله ويكتمـون ما جاء فيه من نعـوت النبي ﷺ فهؤلاء لا يؤمنون به وهم الخاسرون دون غيرهم، ومن آمن[3] من أهل الكتاب بكتابه وتلاه حق تلاوته سوف يؤمن بالنبي الأمي ويدخل في دينه قطعاً.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيتين :

١ـ لا يحصل المسلم على رضا اليهود والنصارى إلا بالكفر بالإسلام واتباع دينهم الباطل

---

(١) هم أصحاب رسول الله ﷺ. وتابعوهم بإحسان كان أحدهم إذا مرّ باية رحمة سألها الله تعالى وإذا مر باية عذاب تعوذ بالله من العذاب.

(٢) إن ما يهدي إليه الرّب تعالى عباده المؤمنين بمعنى ما يوفقهم إليه من الإسلام ظاهرا وباطناً، فيعملون بطاعته وطاعة رسوله في المنشط والمكره ذلك هو هدى الله المبعد عن الضلال والموصل إلى دار السلام..

(٣) كعبدالله بن سلام ومن آمن على عهد رسول الله من أحبار أهل الكتاب.

وهذا ما لايكون للمسلم أبداً فلذا طَلَب رضا اليهود والنصارى محرم لا يحل أبداً.

٢ـ لا دين[1] حق إلا الإسلام فلا ينبغي أن يُلتَفَتَ إلى غيره بالمرة.

٣ـ من يوالي اليهود والنصارى باتباعهم على باطلهم يفقد ولاية الله تعالى ويحرم نصرته.

٤ـ طريق الهداية في تلاوة كتاب الله حق تلاوته بأن يجوده قراءة ويتدبّره هداية ويؤمن بحكمه ومتشابهه، ويحلل حلاله ويحرم حرامه، ويقيم حدوده كما يقيم حروفه.

يَٰبَنِيٓ[2] إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ
أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا
لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ[3] مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا
شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

شـرح الكلمـات :

إسـرائيـل	: لقب يعقوب بن اسحق بن إبراهيم عليهم السلام.
وبنو إسـرائيـل	: هـم اليـهود.
العالميـن	: البشر الذين كانوا في زمانهم مطلقاً.
لا تجـزي	: لا تقـضي ولا تغنـي.
العـدل	: الفـداء.
شـفاعـة	: وسـاطة أحـد.

---

(١) يشهد لهذا قوله ﷺ في الصحيح: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار».

(٢) هذا النداء الثالث الذي نادى الله تعالى به بني اسرائيل يأمرهم بذكر نعمه ليشكروها بالإيمان برسوله والدخول في دين الإسلام، لكن حالهم كما قال القائل:

لقد أسمعت لو ناديت حياً   ولكن لا حياة لمن تنادي

(٣) يلاحظ تقدم الشفاعة في النداء الثاني على أخذ العدل وتأخير الشفاعة في هذا النداء وتقديم العدل وما هو إلّا تفنن في الأسلوب إذهاباً للسآمة. وهذا شأن الكلام البليغ.

معنى الآيتين :

يعظ الرحمن عز وجل اليهود فيناديهم[1] بأشرف ألقابهم ويأمرهم بذكر نعمه تعالى عليهم وهي كثيرة، ويأمرهم أن يذكروا تفضيله تعالى لهم على عالمي زمانهم والمراد من ذكر النعم شكرها فهو تعالى في الحقيقة يأمرهم بشكر نعمه وذلك بالإيمان به وبرسوله والدخول في دينه الحق (الإسلام).

كما يأمرهم باتقاء عذاب يوم القيامة حيث لا تغني نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها فداء ولا تنفعها شفاعة وهذه هي نفس الكافر والمشرك حيث لا شفاعة تنال الكافر أو المشرك، ولا يوجد لهم ناصر ينصرهم فيدفع عنهم العذاب إذاتقاء عذاب يوم القيامة يكون بالإيمان بالله ورسوله والعمل الصالح، بعد التخلي عن الكفر والمعاصي.

هداية الآيتين :

١ـ وجوب ذكر نعم الله على العبد ليجد بذلك دافعاً نفسياً لشكرها، إذ غاية الذكر هي الشكر.

٢ـ وجوب اتقاء عذاب يوم القيامة بالإيمان وصالح الأعمال بعد التخلي عن الشرك والعصيان.

٣ـ استحالة الفداء يوم القيامة، وتعذر وجود شافع يشفع لمن مات على الشرك لا بإخراجه من النار، ولا بتخفيف العذاب عنه.

﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ[2] رَبُّهُ[3] بِكَلِمَاتٍ[4]

(١) بهذا النداء ختم الحجاج مع اليهود في هذه السورة، فلم يَجْرِ لَهم ذكر بعد فكان من براعة المقطع. ذكر هذا صاحب التحرير والتنوير، وليس صحيحا بل الصحيح أن ختم الحجاج مع اليهود انتهى عند قوله تعالى: ﴿إلا الذين ظلموا منهم﴾ الآية (١٤٩).

(٢) أبرهم بالسريانية والعبرية أيضاً معناه أبٌ رحيم، ولرحمته جعله الله تعالى كافلا لأطفال المؤمنين في الجنة إلى يوم القيامة إذ صحّ الحديث بذلك.

(٣) ذكر الربوبية هنا تشريف لابراهيم عليه السلام وإيذان بأن ابتلاءه كان تربية له واعداداً له لأمر خطير.

(٤) الكلمات: جمع كلمة، وهي اللفظ المفرد وتطلق على الكلام أيضاً والمراد بها هنا كلمات تحمل الأوامر التكليفية ومن ابرزها ما يلي: كسر الأصنام، والهجرة، وذبح اسماعيل، وبناء البيت العتيق، والختان، والصلاة، والزكاة، وخصال الفطرة، والصدق، والصبر، وبالجملة فقد نهض ابراهيم بكل ما عهد إليه ربّه بالقيام به من الشرائع فلذا أكرمه بالإمامة وشرّفه بها.

فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا
يَنَالُ عَهْدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾

شرح الكلمات :

ابتـــلى : اختَبَرَه بتكليفه بأمور شاقة عليه.

بكلمـــات : متضمنة أوامـر ونواهـي.

أتمهـــن : قام بهن وأداهـن على أكمل الوجوه وأتمها.

إمـامـــاً : قدوة صالحة يقتدى به في الخير والكمال.

الظالمـــين : الكافرين والمشركين والفاسقين المعتدين على الناس.

معنى الآية الكريمة :

بعد ذلك الحجاج الطويل الذي عاشه رسول الله مع طائفتي أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكذا المشركين في الآيات السابقة لهذه الآية أمر تعالى رسوله أن يذكر ابتلاءه تعالى لنبيه وخليله إبراهيم عليه السلام بما كلّفـه به من أوامر ونواهي فقام بها خير قيام فأنعم عليه بأكبر إنعام وهو أنه جعله إماماً للناس، ومن أبرز تلك التكاليف وقوفه في وجه الوثنيين، وتحطيم أوثانهم، والهجرة من ديارهم والهم بذبح ولده إسماعيل قرباناً لله، وبناء البيت، وحجه والدعوة إليه مما استحق به الإمامة للناس كافة وفي هذا تبكيت للفرق الثلاثة العرب المشركين واليهود والنصارى إذ كلهم يدعي انتماءه لإبراهيم والعيش على ملته فها هو ذا إبـراهيم موحد وهم مشركون، عادل وهم ظالمون، مُتَّبَعٌ للوحي الإلهي وهم به كافرون ولصاحبه مكذبون وفي الآية بيان رغبة إبراهيم في أن تكون الإمامة فى ذريته وهي رغبة صالحة فجعلها الله تعالى في ذريته[٢] كما رغب واستثنى تعالى الظالمين فإنهم لا يستحقونها فهي لا تكون إلا في أهل الخير والعدل والرحمة لا تكون في الجبابرة القساة ولا الظالمين العتاة.

---

(١) الذرية: مأخوذ من ذرأ الله الخلق ذرءاً أي: خلقهم والجمع ذراري.

(٢) قال تعالى: ﴿وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب﴾. الآية من سورة العنكبوت.

(١)

هداية الآيـــة

من هدايـة الآية :

١ـ الإمامة لا تنال إلا بصحة اليقين والصبر[1] على سلوك سبيل المهتدين.

٢ـ مشروعية ولاية العهد، بشرط أن لا يعهد إلا إلى من كان على غاية من الإيمان والعلم والعمل والعدل والصبر.

٣ـ القيام بالتكاليف الشرعية قولاً وعملاً[2] يؤهل لأن يكون صاحبه قدوة صالحة للناس.

وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً[3] لِّلنَّاسِ
وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ
وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ
ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ
أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ
فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾

شـرح الكلمـات :

البيـــت : الكعبة التي هي البيت الحرام بمكة المكرمة.

مثابــــة : مرجعاً يثوب إليه العُمّارُ والحجاج.

أمنـــــاً : مكاناً آمنـاً يأمن فيه كل من دخله.

مقام ابراهيم : الحجر الذي كان قد قام عليه ابراهيم أيام كان يبني البيت وذلك أنه لما ارتفع البناء احتاج إبراهيم إلى حجر عال يرقى عليه ليواصل بناء الجدران فجيء بهذا الحجر فقام عليه فسمي مقام إبراهيم.

---

(١) شاهد هذا في كتاب الله تعالى إذ قال عز وجل: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآيتنا يوقنون﴾ السجدة. ولذا قيل: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

(٢) هذا مستفاد من قوله تعالى: ﴿وإذ ابتلى ابراهيم ربُّه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً﴾

(٣) مثابة أصله ثاب مصدر ثاب يثوب مثابا، وزيدت فيه التاء للمبالغة كما زيدت في كلمة علامة ونسّابة ويشهد لهذا قول الشاعر:

جعل البيت مثاباً لهم ليس منه الدهر يقضون الوطر

مصـــــلـىٰ : مكان يصلى فيه أو عنده أو إليه.

عهـــدنـا : وصينا وأمـرنا.

تطهير البيت : تنزيه عن الأقذار الحسية كالدماء والأبـوال ومعنوية كالشرك والبدع والمفاسـد.

اضطـــــره : ألجـئه مكرها إلى العذاب.

معنى الآيـتين :

ما زال السياق في تذكير المشركين وأهل الكتاب معاً بأبي الأنبياء وإمام الموحدين إبراهيم عليه السلام، ومآثره الطيبة الحميدة، ومواقفه الإيمانية العظيمة ليتجلى بذلك بطلان دعوى كل من أهـل الكتـاب والمشركين في انتسابهم إلى إبراهيم كذباً وزوراً إذ هو موحد وهم مشركون وهو مؤمن وهم كافرون فقال تعالى لنبيه ﷺ : اذكر لهم كيف جعلنا البيت مثابة للناس[(١)] يثوبون إليه في كل زمان حجاجاً وعماراً، وأمناً دائماً من دخله أمن على نفسه وماله وعرضه. وقلنا لمن حجوا البيت أو اعتمروا اتخذوا من مقام إبراهيم مصلى فكان مِن سنةِ مَنْ طاف بالبيت أن يصلى خلف المقام ركعتين، كما أوصينا[(٢)] من قبلُ إبراهيمَ وولدَهَ إسماعيلَ بتـطهـير البيت من كل رجس معنـوياً كالأصنام وعبادة غير الله تعالى أو حسياً كالأقذار والأوساخ من دم أو بول حتى يتمكن الطائفون والعاكفون[(٣)] والمصلون من أداء هذه العبادات بلا أي أذىً يلحقهم أو يضايقهم.

هذا ما تضمنته الآية الأولى (١٢٥) أما الآية الثانية (١٢٦) فقد تضمنت أمر الله تعالى لرسوله أن يذكر دعوة إبراهيم ربَّه بأن يجعل مكة بلداً آمناً من[(٤)] دخله يأمن فيه[(٥)] على نفسه وماله وعرضه، وأن يرزق أهله وسكانه المؤمنين من الثمرات وأن الله قد استجاب لإبراهيم دعوته إلا أن الكـافـرين لا يحرمون الرزق في الدنيا ولكن يحرمون الجنة في الدار الآخرة حيث

---

(١) فقد أخبر النبي ﷺ أن موسى عليه السلام حج البيت وأن هودا حجه من قبل وكذا سائر الأنبياء والمرسلين.

(٢) الآية وعهدنا: إلاّ أن الوعد المؤكد وقوعه يصير عهداً، فإن عدي بإلى صار وصية، فلذا فسّرنا العهد هنا بالوصية.

(٣) العكوف: ملازمة المسجد للصلاة والعبادة، والعاكفون الملازمون للمسجد الحرام من ساكن مكة وغريب.

(٤) الجمهور على أن الحدود تقام على أصحابها في الحرم، وخالف أبو حنيفة في هذا، وقول الجمهور أصح وعليه العمل فقد روى البخاري أن عمرو بن سعيد قال: إن الحرم لا يعيذ عاصيا، ولا فاراً بدم ولا فاراً بخربة

(٥) هل كانت مكة حراما قبل دعوة ابراهيم أو بعد دعوته خلاف ويشهد لكونها ما كانت حراما قول النبي ﷺ إن ابراهيم حرّم مكة ودعا لأهلها.. الحديث في مسلم.

يلجئهم تعالى مضطراً لهم إلى عذاب النار الغليظ وبئس هذا المصير الذي يصيرون إليه ـ وهو النار ـ من مصير.

هدايـة الآيـات

من هداية الآيتين :

١ـ منة الله تعالى بجعل البيت مثابة للناس وأمناً توجب حمد الله على كل مؤمن.

٢ـ سنة صلاة ركعتين خلف المقام لمن[١] طاف بالبيت.

٣ـ وجوب حماية البيت والمسجد الحرام من أي ضرر يلحق من يوجد فيه من طائف وعاكف وقائم وراكع وساجد.

٤ـ بركة دعوة إبراهيم لأهل مكة، واستجابة الله تعالى له دعوته فلله الحمد والمنة.

٥ـ الكافر لا يحرم الرزق لكفره[٢] بل له الحق في الحياة إلا أن يحارب فيقتل أو يسلم.

٦ـ مصير من مات كافراً إلى النار، لا محالة، والموت في الحرم لا يغني عن الكافر شيئاً.

وَإِذْ يَرْفَعُ[٣] إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ[٤] رَبَّنَا تَقَبَّلْ
مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ[٥]
لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ

---

(١) روى البخاري عن عمر رضي الله عنه أنه قال: وافقت ربي في ثلاث: قلت يارسول الله لو اتخذنا من مقام ابراهيم مصلى فنزلت: ﴿واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى﴾ الآية.

(٢) هذا مستفاد من قول الله تعالى: ﴿ومن كفر فأمتعه قليلا ..﴾ الخ، إذ ابراهيم عليه السلام سأل الرزق للمؤمنين لاغير نظراً إلى أن الله تعالى ردّ طلبه في سؤاله الإمامة لكافة ذريته إذ قال: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾ فمن هنا استثنى ابراهيم غير المؤمنين فأعلمه الله أن الغذاء حق الحيّ مؤمنا كان أو كافرا.

(٣) الاتيان بالمضارع هنا مع أن السياق في أمور مضت من أجل استحضار الحالة كأنّها مشاهدة وذلك إبرازا لمواقف إمام الموحدين ابراهيم المشرفة ترغيبا في الاقتداء به.

(٤) إسماعيل هو الولد البكر لابراهيم، وأمّه هاجر الجارية المصرية ومعنى إسماعيل: (سمع الله).

(٥) هذا كسؤال المسلم في صلاته ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ أي أدم هدايتنا واحفظ سيرنا عليه حتى نفوز برضاك والجنة فكذلك سؤال إبراهيم ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ أي أدم لنا إسلامنا واحفظه علينا حتى لا نتركه لأنه علّة وجودنا وغاية أملنا في الحياة.

وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾

شـرح الكلمـات :

وإذ : ظرف لما مضى من الزمان ويعلق بمحذوف تقديره أذكر وقت كذا وكذا.

القواعـــد : جمع قاعدة ما يبنى عَلَيْه الجدار من أساس ونحوه.

البيـــت : الكعبة حماها الله وطهرهـا.

إنك أنت السميع العليم : هذه الجملة وسيلة توسل بها إبراهيم وولده لقبول دعائهما.

مســلمين : منقادين لك خاضعين لأمرك ونهيك راضين بحكمك عابدين لك.

أرنا مناســكنا : علمنا كيف نحج بيتك، تنسكاً وتعبداً لك.

تـب علينــا : وفقنا للتوبة إذا زَلَلْنَا واقْبَلْها منا.

وابعث فيهم رسولاً : هذا الدعاء استجابهُ الله تعالى، ومحمد ﷺ هو ما طلباه.

الكتـــاب : القـــرآن.

الحكمـــة : السنة وأسرار الشرع والإصابة في الأمور كلها.

يزكيـــهم : يطهر أرواحهم ويكمل عقولهم، ويهذب أخلاقهم بما يعلمهم من الكتاب والحكمة، وما بينه لهم من ضروب الطاعات.

العزيز الحكيم : العزيز الغالب الذي لا يغلب. الحكيم في صنعه وتدبيره بوضع كل شيء في موضعه.

معنى الآيـات :

مازال السياق الكريم في ذكر مآثر إبراهيم عليه السلام المنبئة عن مكانته السامية في كمال الإيمان والطاعة، وعظيم الرغبة في الخير والرحمة فقد تضمنت الآيات الثلاث ذكر إبراهيم وإسماعيل وهما يبنيان البيت برفع قواعده وهما يدعوان الله تعالى بأن يتقبل[1] منهما عملهما متوسلين إليه بأسمائه وصفاته ﴿إنك أنت السميع العليم﴾.

(١) هذه من كمال الحال إذ هو في حال البناء، والتعب، والعرق ويسأل أن يتقبل منه عمله. هذا شأن أهل الكمال من الرجال قال تعالى عنهم: ﴿والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ الآية.

كما يسألانه عز وجل أن يجعلهما مسلمين له وأن يجعل من ذريتهما أمة مسلمة له مؤمنة به موحدة له ومنقادة لأمره ونهيه مطيعة، وأن يعلمهما مناسك[2] حج بيته العتيق ليحجاه على علم ويتوب عليهما، كما سألاه عز وجل أن يبعث في ذريتهما رسولاً منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم بالإيمان وصالح الأعمال، وجميل الخلال وطيب الخصال.

وقد استجاب الله تعالى دعاءهما فبعث في ذريتهما من أولاد إسماعيل إمام المسلمين وقائد الغر المحجلين نبينا محمداً ﷺ وقد قرر هذا ﷺ بقوله: «أنا دعوة[3] أبي إبراهيم وبشارة عيسى... عليهم جميعاً السلام».

هدايـة الآيــات

من هداية الآيات:

١- فضل الإسهام بالنفس في بناء المساجد[4].

٢- المؤمن البصير في دينه يفعل الخير وهو خائف أن لا يقبل منه فيسأل الله تعالى ويتوسل إليه بأسمائه وصفاته أن يتقبله منه.

٣- مشروعية سؤال الله للنفس وللذرية الثبات على الإسلام حتى الموت عليه.

٤- وجوب تعلم مناسك الحج والعمرة على من أراد أن يحج أو يعتمر.

٥- وجوب طلب تزكية النفس بالإيمان والعمل الصالح، وتهذيب الأخلاق بالعلم والحكمة.

٦- مشروعية التوسل إلى الله تعالى في قبول الدعاء وذلك بأسمائه تعالى وصفاته لا بحق فلان وجاه فلان كما هو شأن المبتدعة والضلال ففي هذه الآيات الثلاث توسل إبراهيم وإسماعيل بالجمل التالية:

١- ﴿ إنك أنت السميع العليم ﴾.

---

(١) هي أمّة الإسلام التي أنشأها بعون الله تعالى محمد الذي بعثه الله رسولا في ذرية اسماعيل للعالمين.

(٢) النسك في اللغة الغسل بالماء، يقال نسك ثوبه إذا غسله، وهو في الشرع اسم للعبادة، لأن العبادة تطهّر النفس وتزكيها، يقال: رجل ناسك ومتنسك إذا لازم العبادة يغسل بها نفسه لتطهر وتزكو فيفلح بذلك ويفوز. ومناسك الحج هي العبادات المشروعة فيه من إحرام وطواف وذبح الهدي وغير ذلك.

(٣) رواه أحمد بلفظ: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمجندل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك. دعوة ابراهيم، وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت وكذلك أمهات النبيين يرين.

(٤) وفي الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له قصراً في الجنة».

٢- ﴿ إنك أنت التواب الرحيم ﴾ .

٣- ﴿ إنك أنت العزيز الحكيم ﴾ .

وَمَن يَرْغَبُ(١) عَن
مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ(٢) فِى ٱلدُّنْيَا
وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ
قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ(٣) بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ
وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ(٤) شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ
ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ
إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا
وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا
مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

شـــرح الكلمـات :

ومن يرغب عن ملة ابراهيم : الرغبة عن الشيء عدم حبه وترك طلبه وملة إبراهيم هي عبادة الله وحده بما شرع لعباده.

---

(١) الاستفهام للنفي والإنكار، وملّة ابراهيم هي عبادة الله وحده لاشريك له بما شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات في كتابه وعلى لسان رسوله محمد ﷺ .

(٢) الاصطفاء مأخوذ من الصفوة وهو تخير الأصفى أي الأكثر صفاء، واصطفى : قلبت فيه التاء طاء لتناسبها مع الصاد في الاطباق إذ الأصل : اصتفى أي : طلب الصفوة.

(٣) وصى وأوصى بمعنى عهد إليه بكذا، والموصى به هنا هو كلمة ﴿أسلمت لرب العالمين﴾ وذلك بعبادته وحده بما شرع بعد خلع الأنداد. وذي هي ملّة ابراهيم.

(٤) أم بمعنى : بل والهمزة هي التي للاستفهام الإنكاري وتقدير الكلام : بل أكنتم شهداء حين حضر يعقوب الموت فوصّى بنيه. يوبّخهم على كذبهم وينكر عليهم.

إلا من سفه نفسه[1] : لا يرغب عن ملة إبراهيم التي هي دين الإسلام إلا عبد جهل قدر نفسه فأذلها وأهانها بترك سبيل عزها وكمالها وإسعادها وهي الإسلام.

اصطفيناه : اخترناه لرسالتنا والبلاغ عنا، ومن ثم رفعنا شأنه وأعلينا مقامه.

أسلم : انقد لأمرنا ونهينا فاعبُدْنا وحدنا ولا تلتفتْ إلى غيرنا.

اصطفى لكم الدين : اختار لكم الدين الإسلامي ورضيه لكم فلا تموتنّ[2] إلا وأنتم مسلمون.

يعقوب : هو اسرائيل بن اسحق بن إبراهيم وبنوه هم يوسف وإخوته.

أمة خلت : جماعة أمرها واحد. خلت: مضت إلى الدار الآخرة.

لها ما كسبت : أجر ما كسبته من الخير.

ولكم ما كسبتم : من خير[3] أو غيره.

معنى الآيات :

لما ذكر تعالى في الآيات السابقة مواقف إبراهيم السليمة الصحيحة عقيدة وإخلاصاً وعملاً صالحاً وصدقاً ووفاءً فوضح بذلك ما كان عليه إبراهيم من الدين الصحيح قال تعالى: ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾ تلك الملة الحنيفية الواضحة السهلة. اللهم لا أحد يرغب عنها إلا عبد جهل قدر نفسه، ولم يعرف لها حقها في الطهارة والصفاء والإكمال والإسعاد وضمن هذا الخبر ذكر تعالى إنعامه على إبراهيم وما تفضل به عليه من الإصطفاء في الدنيا والإسعاد في الآخرة في جملة الصالحين.

وفي الآية الثانية (١٣١) يذكر تعالى أن ذاك إلا اصطفاء تم لإبراهيم عند استجابته لأمر ربه بالإسلام حيث أسلم ولم يتردد. وفي الآية الثالثة (١٣٢) يذكر تعالى إقامة الحجة على

---

(١) سفه نفسه: استخف بقدرها جهلا به ولذا نُصب نفسه لتضمُّن سفه معنى جهل.

(٢) في قوله: ﴿فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ إيجاز بليغ إذ معناه إلزموا الإسلام ودوموا عليه ولا تفارقوه حتى تموتوا. وجملة ﴿وأنتم مسلمون﴾ في محل نصب على الحال، والمعنى مطيعون خاضعون.

(٣) فيه معنى ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ومعنى ﴿ولا تكسب كل نفس إلا ما عليها﴾.

المشركين وأهل الكتاب معاً إذ ملة الإسلام القائمة على التوحيد وصى بها إبراهيم بنيه، كما وصى بها يعقوب بنيه وقال لهم: لا تموتن إلا على الإسلام فأين الوثنية العربية واليهودية والنصرانية من ملة إبراهيم، ألا فليثب العقلاء إلى رشدهم.

وفي الآية الرابعة (١٣٣) يوبخ تعالى اليهود القائلين كذباً وزوراً للنبي ﷺ: ألست تعلم أن يعقوب وصى بَنيه باليهودية فقال تعالى: ﴿أم كنتم شهداء﴾ أي أكنتم حاضرين لما حضر يعقوب الموت فقال لبنيه مستفهمًا إياهم: ما تعبدون من بعدي؟ فأجابوه بلسان واحد: ﴿نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم[1] وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً[2] ونحن له مسلمون﴾ فإن قالوا كنا حاضرين فقد كذبوا وبهتوا ولعنوا وإن قالوا لم نحضر بطلت دعواهم أن يعقوب وصى بنيه باليهودية، وثبت أنه وصاهم بالإسلام لا باليهودية.

وفي الآية الأخيرة (١٣٤) ينهي تعالى جدل اليهود الفارغ فيقول لهم: ﴿تلك أمة قد خلت﴾ ـ يعني إبراهيم وأولاده ـ لها ما كسبت من الإيمان وصالح الأعمال، ولكم أنتم معشر يهود ما اكتسبتم من الكفر والمعاصي وسوف لا تسألون يوم القيامة عن أعمال غيركم وإنما تسألون عن أعمالكم وتجزون بها، فاتركوا الجدل وأقبلوا على ما ينفعكم في آخرتكم وهو الإيمان الصحيح والعمل الصالح، ولا يتم لكم هذا إلا بالإسلام فأسلموا.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

١ـ لا يرغب عن الإسلام بتركه أو طلب غيره من الأديان إلا سفيه لا يعرف قدر نفسه.

٢ـ الإسلام[3] دين البشرية جمعاء، وما عداه فهي أديان مبتدعة باطلة.

٣ـ استحباب الوصية للمريض يوصي فيها بنيه وسائر أفراد أسرته بالإسلام حتى الموت عليه.

٤ـ كذب اليهود وبهتانهم وصدق من قال: اليهود قوم بهت.

---

(١) فيه إطلاق لفظ الأب على العمّ لأن اسماعيل عم ليعقوب وليس بأب له، وفيه إطلاق الأب على الجد أيضاً ومِنْ هنا ذهب مَنْ ذهب إلى أن الجد كالأب يحجب الأخوة عن الأرث لأن الأب يحجب الأخوة حجب اسقاط.

(٢) أي نوحّده بالألوهية أي: العبادة ولا نشرك به في عبادته سواه.

(٣) الإسلام هو ملّة سائر الأنبياء، وإن تنوعت أنواع التكليف عندهم، واختلفت مناهج العمل بينهم، إذ الإسلام هو انقياد لله وخضوع ولذا قال الرسول ﷺ: «نحن معشر الأنبياء أولاد عَلات ديننا واحد».

٥- يحسن بالمرء ترك الإعتزاز بشرف وصلاح الماضين[1][4]، والإقبال على نفسه بتزكيتها وتطهيرها.

٦- سنة الله في الخلق أن المرء يجزى بعمله، ولا يسأل عن عمل غيره.

٧- يطلق لفظ الأب على العم تغليباً وتعظيماً.

وَقَالُوا۟ كُونُوا۟[2] هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ
حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ
أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ[3] إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ
وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ
مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ[5] أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا
هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ
﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ
عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾

شرح الكلمات :

تهتدوا : تصيبوا طريق الحق.

---

(١) وفي الحديث الصحيح «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» وفي هذا المعنى قال الشاعر الحكيم
لا تقل أصلي وفصلي يا فتى   إنما أصل الفتى ما قد حصل

(٢) ذكر ابن كثير عن ابن اسحاق أن عبدالله بن صوريًا الأعور اليهودي قال لرسول الله ﷺ: ما الهدى إلّا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك فأنزل الله عز وجل: ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا﴾ الآية.

(٣) روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله ﷺ «لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: آمنا بالله وما أنزل إلينا، وما أنزل إليكم..».

(٤) الأسباط: أولاد يعقوب عليه السلام وهم اثنا عشر ولداً، يوسف وبنيامين وهوذا ولكل واحد منهم أمّة من الناس. الواحد سبط والجمع أسباط والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في ولد اسماعيل عليه السلام وسموا الأسباط من السّبط وهو التابع لأنهم متابعون.

(٥) أي: لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كصنيع اليهود والنصارى.

ملة إبراهيـم : دين إبراهيم الذي كان عليه.

حنيفـاً [1] : مستقيمًا على دين الله تعالى موحداً فيه لا يشرك بالله شيئاً.

ما أوتي موسى : التـوراة.

وما أوتي عيسى : الإنجيـل

في شـقاق : خلاف وفراق وعداء لك وحرب عليك.

صبغـة الله : دينه الذي طهرنا به ظاهراً وباطناً فظهرت آثاره علينا كما يظهر أثر الصبغ على الثوب المصبوغ.

معنى الآيـات :

مازال السياق في حجاج أهل الكتاب ودعوتهم إلى الإسلام فقد قال اليهود للرسول ﷺ وأصحابه. كونـوا يهوداً تهتدوا إلى الحق، وقالت النصارى من وفد نجران كذلك كونوا نصارى تهتدوا فحكى الله تعالى قولهم، وعلم رسوله أن يقول لهم لا نتبع يهودية ولا نصرانية بل نتبع دين إبراهيم الحنيف المفضي بصاحبه إلى السعادة والكمال.

وفي الآية الثانية (١٣٦) أمر الله تعالى رسوله والمؤمنين أن يعلنوا في وضوح عن عقيدتهم الحقة وهي الإيمان بالله وما أنزل من القرآن، وما أنزل على الأنبياء كافة، وما أوتي موسى وعيسى من التوراة والإنجيل خاصة، مع عدم التفرقة بين رسول ورسول والإسلام الظاهر والباطن لله رب العالمين.

وفي الآية الثـالثة (١٣٧) يقول تعالى لرسوله والمؤمنين إن آمن اليهود والنصارى إيماناً صحيحاً كإيمانكم [2] فقد اهتدوا، وإن أبوا فتولوا وأعرضوا فأمرهم لا يعدو شقاقاً وحرباً لله ورسولـه، والله تعـالى سيكفيكهم بما يشاء وهو السميع لأقوالهم الباطلة العليم بأعمالهم الفـاسدة، وقد أنجز [3] تعالى وعده لرسوله فأخرج اليهود من المدينة بل ومن الحجاز مع ما

---

(١) أصل الحنف: الميل ومنه قولهم رجل أحنف أي مائل القدمين إلى بعضهما بعضاً قالت أم الأحنف: والله لولا الحنف برجله ما كان في فتيانكم من مثله ولمّا مال إبراهيم عن أديان الشرك إلى دين التوحيد قيل فيه حنيف وصار بمعنى مستقيم. إذ هو على منهج الحق وغيره على الباطل.

(٢) الآية: ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به..﴾ وكان ابن عباس يقرأها: ﴿فإن آمنوا بالذي آمنتم به﴾ وهو تفسير لا قراءة، وعليه فمثل: زائدة نظيرها. ليس كمثله شيء أي ليس كهو شيء.

(٣) نعم أنجز الله تعالى وعده لرسوله فكفاه اليهود الذين وطنوا العزم على قتله ﷺ فحاولوا وخابوا ولم يقدروا إذ كفاه الله تعالى إياهم.

جللهم به من الخزي والعار.

وفي الآية الرابعة (١٣٨) يقول تعالى لرسوله والمؤمنين رداً على اليهود والنصارى قولوا لهم: نتبع[1] صبغة الله التي صبغنا بها وفطرته التي فطرنا عليها وهي الإسلام، ونحن له تعالى عابدون.

هدايـة الآيـات

من هدايـة الآيـات:

١ـ لا هداية إلا في الإسلام ولا سعادة ولا كمال إلا بالإسلام.

٢ـ الكفر برسول، كفر بكل الرسل فقد كفر اليهود بعيسى، وكفر النصارى بمحمد ﷺ فأصبحوا بذلك كافرين، وآمن المسلمون بكل الرسل فأصبحوا بذلك مؤمنين.

٣ـ لا يزال اليهود والنصارى في عداء للإسلام وحرب على المسلمين، والمسلمون يكفيهم الله تعالى شرهم إذا هم استقاموا على الإسلام عقيدة وعبادة وخلقاً وأدباً وحكماً.

٤ـ الواجب على من دخل في الإسلام أن يغتسل غسلاً كغسل الجنابة إذ هذا من صبغة[2] الله تعالى، لا المعمودية النصرانية التي هي غمس المولود يوم السابع من ولادته في ماء يقال له المعمودي وإدعاء انه طهر بذلك ولا يحتاج إلى الختان.

﴿قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ

(١) الصِّبغ: الشيء يصبغ به فالصبغ بدون تاء كالقشر فزيدت فيه التاء فقيل صبغة كقشرة، وهي في الآية منصوبة «صبغة» إمّا أنها بدل من ملّة المنصوبة بتقدير: نتبع ملّة، وإمّا أنها على المفعولية المطلقة أي صبغنا صبغة الله نحو وعد الله حقاً، وفي هذا ردّ على اليهود والنصارى إذ اليهود نشأت فيهم الصبغة إذ كان الكاهن يغتسل كل عام ليكفّر خطايا بني اسرائيل في يوم عيد معلوم لهم والنصارى ما زالوا يُعمِّدون أطفالهم يوم السابع فيغمسونهم في الماء هذه صبغة اليهود والنصارى، أمّا صبغة المسلمين فهي اتباع ملة ابراهيم عليه السلام وشتان ما بينهما

(٢) تعميد النصارى لأطفالهم وهو صبغهم بالماء كالثوب يصبغ بلون من الألوان فهم يرون أن الولد لما يصبغ بالماء أصبح نصرانيا لا يفارقه. أي هذا الاسم الذي هو النصراني.

وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ(1)
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ(2) وَمَا اللَّهُ
بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

شرح الكلمات :

أتحاجوننا في الله(3) : أتجادلوننا في دينه والإيمان به وبرسوله، والإستفهام للإنكار.

له مخلصون(4) : مخلصون العبادة له، لا نشرك غيره فيها، وأنتم مشركون.

شهادة عنده من الله : المراد بهذه الشهادة ما أخذ عليهم في كتابهم من الإيمان بالنبي محمد ﷺ عند ظهوره.

الغافل : من لا يتفطن للأمور لعدم مبالاته بها.

معنى الآيات :

يأمر تعالى رسوله أن ينكر على أهل الكتاب جدالهم في الله تعالى إذ ادعوا أنهم أولى بالله من الرسول والمؤمنين وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه، فعلّم الله رسوله كيف يرد عليهم منكراً عليهم دعواهم الباطلة. كما أفحمهم وقطع حجتهم في دعواهم أن إبراهيم والأنبياء بعده كانوا هوداً أو نصارى(5)، إذ قال له قل لهم: ﴿أأنتم أعلم أم الله؟﴾ فإن قالوا نحن أعلم، كفروا وإن قالوا الله أعلم انقطعوا لأن الله تعالى أخبر أنهم ما كانوا أبداً يهوداً ولا نصارى، ولكن كانوا مسلمين، ثم هددهم تعالى بجريمتهم الكبرى وهي كتمانهم الحق وجحودهم

---

(١) الاستفهام للتقرير والتوبيخ.

(٢) قال ابن كثير عن الحسن البصري: إن أهل الكتاب كانوا يقرأون في كتاب الله الذي آتاهم: إن الدين الإسلام وإن محمداً رسول الله وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا بُرآء من اليهودية والنصرانية فشهدوا لله بذلك وأقروا على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك.

(٣) والاستفهام أيضاً للتعجب من حالهم وللتوبيخ لهم على سوء سلوكهم، ومعنى في الله أي في دينه وولايته ونسخ شرائعه السابقة بالإسلام وكفر من لم يؤمن بمحمد ﷺ ودينه الذي هو الإسلام.

(٤) الإخلاص: تخليص العبادة من الالتفات إلى غير الله تعالى. وعرفه الجنيد فقال: الإخلاص سرٌ بين العبد وبين الله تعالى لايعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

نعوت الرسول والأمر بالإيمان به عند ظهوره فقال ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله ، وما الله بغافل عما تعملون .

ثم أعاد لهم ما أدبهم به في الآيات السابقة مبالغة في تأديبهم وإصلاحهم لو كانوا أهلاً لذلك فأعلمهم أن التمسح بأعتاب الماضين والتشبث بالنسب الفارغة إلى الأولين غير مجد لهم ولا نافع فليقبلوا على إنقاذ أنفسهم من الجهل والكفر بالإيمان والإسلام والإحسان ، أما من مضوا فهم أمة قد أفضوا إلى ما كسبوا وسيجزون به ، وأنتم لكم ما كسبتم وستجزون به ، ولا تجزون بعمل غيركم ولا تسألون عنه .

هداية الآيـات

من هداية الآيات :

١ـ فضيلة الإخلاص وهو عدم الإلتفات إلى غير الله تعالى عند القيام بالعبادات .

٢ـ كل امرىء يجزى بعمله ، وغير مسئول عن عمل غيره ، إلا إذا كان سبباً فيه .

٣ـ اليهودية والنصرانية[1] بدعة ابتدعها اليهود والنصارى .

٤ـ تفاوت الظلم بحسب الآثار المترتبة عليه .

٥ـ حرمة[2] كتمان الشهادة لا سيما شهادة من الله تعالى .

٦ـ عدم الاتكال على حَسَبِ الآباء والأجداد ، ووجوب الإقبال على النفس لتزكيتها وتطهيرها بالإيمان الصحيح والعمل الصالح .

---

(١) قال تعالى : ﴿ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ آل عمران .

(٢) إذ قال تعالى : ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾ البقرة .